بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ باسم ربك الذي خلق ۞ خلق الانسان من علق ۞

اقرأ وربك الأكرم ۞ الذي علم بالقلم ۞ علم الانسان مالم يعلم ۞

« صدق الله العلي العظيم »


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

كلمة التحرير



هاهو العدد الثالث من « البلاغ » بين يديك أيها القارىء العزيز ، وهو ـ والحق يقال ـ مرحلة ثالثـــة من عمرها المديد ـ بعون الله وعونـك ٠
وعندما نقول كلمتنا هذه فانما نعنى ب « المرحلة » ما يجب أن يفهم منها ، فقد كان العددان الاول والثاني مجال تجربة استفدناها ، فأدركنا في كل واحد منهما كيف نتلافىجوانبالنقص لنخطو خطوة جديدة ملؤها الصـواب والثقة والايمان ٠

و « البلاغ » اذ تصدر فى عددها الثالث هذا ليستقر بين يديك ، ترجو ان تكون بما تقدم من علم وفكر مرجع بحث ، ومثال تساؤل ، وموضع ثقة ، وزاد ثقافة نقيـة من الشـــوائب ، خالصة من الأدران ٠

ولقد يسر الله لها أن تكون ذات منزلة فى قلبك عالية ، ولكنها لاتكتفي بذلك منك ولا ترضى لنفسها ان تحظى بالتصفـــح والاطـــلاع فحسب ٠

وانما ترجو أن تسمو الى حد من اثارة اعجابك بها ، وتعاطفك معها ، بحيث تجد منك اعلانا ناطقا وداعية صادقا ، تملأ عليك جوانب نفسك ، ويتردد اسمها ومواضيعها في اصداء مجلسك • فاذا بك غير منفرد في انتظار عددها الجديد ، ولا حائر في تطلب من يستطيع مطارحتك النقاش في هذه القضية أو تلك من قضاياها ، وهذا التعليق أو ذاك في موضوعاتها • فلئن وفقت الى ذلك ـ ان شاء الله ـ فقد بلغت من أمانيها أي مبلغ •

وبعد : فلقد كان من تشجيعك لها واهتمامك بها ما دفعها الى زيادة نسخها في كل عدد ، ومضاعفة الجهود المبذولة لتحسينها اخراجا وتبويبا ، مما لا نشك انك قد أدركته ادراكا تاما لوضوحه وبيانه • وكل أملنا من الله تعالى ـ ونحن نختتم حديثنا عن « البلاغ » عندك ـ أن يجعلنا اهلا لتمام ثقتك ومزيد تشجيعك وحسن رعايتك ، ويوفقنا الى أن تستمر مسيرتنا خطوة خطوة وقدما قدما • وما ذلك على لطفه ببعيد •

التحرير

مزية الفقه الجعفري

للسيد محمد صادق الصدر

- ١ -

يمتاز الفقه الجعفري من بين الفقه الاسلامي بفتحه باب «الاجتهاد» • وبأنه يستقى آراءه من معين «اهل البيت» عليهم السلام اعدال «الكتاب» وقادة الامة الى الحق والصواب •

وحسبه ان ينسب الى الامام ابي عبدالله «الصادق» جعفر بن محمد عليهما السلام الذى ملأالدنيا بعلمه وتلاميذه ورواة اخباره وآثاره •

ولاشك ان «الفقه الجعفرى» لما كان مصدره أهل البيت ـ واهل البيت ادرى بالذى فيه ـ كان هذا الفقه معينا لا ينضب لاتصاله بالنبي العظيم (ص) ومصدره الوحى الالآهى ، وهذا هو سر عظمة «فقه اهل البيت» عليهم السلام •

وقد تجلت هذه العظمة بوضوح فى عصرنا الحاضر الذى طغى العلم فيه على الجهل ، وذهبت فيه عند اهل العلم العصبيات المذهبية التى كانت تنحرف بالفقه فى كثير من الظروف •

وادل دليل على الروح العلمية المسيطرة فى كثير من البلاد الاسلامية هو اخذها بجملة من الاراء الفقهية الخاصة بالفقه الجعفرى عند تقنين «الاحوال الشخصية» فى الجمهورية العربية المتحدة وغيرها من البلاد الشقيقة •

- ٢ -

وكان أول من انتبه الى «الفقه الجعفرى» من رجال القانون العرب واكبر

مرونته وموافقته لروح العصر هو الدكتور عبدالرزاق السنهوري شيخ الدستور والقانوني الاول فى الشرق وذلك يوم كان عميدا فى العراق لكلية الحقوق فقد عهدت وزارة العدلية اليه القيام بمشروع «القانون المدنى العراقى» واعدت له كل ما يحتاجه من مراجع مهمة فى القانون والفقه على سائر المذاهب الاسلامية ، وكان من بينها «موسوعة العلامة الحلى» فى الفقه الجعفرى المسماة (تذكرة الفقهاء) وهي فقه مقارن يتعرض فى كل مسألة لما يراه الفقه الجعفري والمذاهب الاربعة .

وقد اكبر الدكتور السنهوري العلامة الحلى ، ونظر باعجاب لما يراه الفقه الجعفري من اراء ونظريات تدل دلالة واضحة على سعة افق هذا الفقه ومدى صلاحيته لان يكون مستندا للقانون المدني عند التقنين فى شتى المسائل وقد صرح الدكتور قائلا « لقد وجدت فى الفقه الاسلامى السند لمشروع «القانون المدنى العراقى» فى مشاكل قانونية مستعصية ، وقد انفرد الفقه الجعفرى فى مسائل لم اجد لها مثيلا فى المذاهب الاسلامية الاخرى ».

- ٣ -

وقد سبق الفرنسيون الدكتور السنهوري فى التعرف على الفقه الجعفري فقد ترجموا الى الفرنسية كتاب «شرائع الاسلام» للامام المحقق الحلى ابي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن المولود سنة ٦٠٢ والمتوفى سنة ٦٧٦هـ وهو خال العلامة الحلي الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر واجل اساتذته ، وكان لهذين الامامين اثرهما العظيم فى خدمة الفقه والدين باثارهما الباقية الخالدة .

وكان كل من الاستاذ والتلميذ مثلا يحتذى فى عصره ، وترجع الامامية اليه فى العلم والتقليد فى الاحكام الشرعية .

وكانت مصنفاتهما العلمية المرجع للعلماء والمحصلين . ولكتابي المحقق

«الشرائع» و «المختصر النافع» و «قواعد العلامة» اثرها الكبير فى نفوس أساطين أهل العلم .

وقد شرح «الشرائع» اثنان وثمانون من اعلام الشيعة وتحتوى كثير من الشروح على مجلدات ضخام .

وكان من بين شراح الشرائع جدنا الاعلى السيد نورالدين على المتولد ٩٧٠هـ ووفاته سنة ١٠٦٨هـ وقد اثنى مترجموه على الشرح ثناء جميلا وقام اخوه عمنا السيد محمد بالمهمة نفسها وشرحه «المدارك» يدل على دقة فى الرأى ، وسعة فى الاطلاع ، والمطبوع منه مجلد واحد فى العبادات ، ولايزال من قديم الزمان موضع الدرس فى النجف الاشرف وينظر اليه اهل العلم باكبار .

ومن الشروح الخالدة المتداولة بين اهل العلم كتاب «جواهر الكلام فى شرح شرائع الاسلام» للمرجع الدينى الاكبر الشيخ محمد حسن بن الشيخ باقر النجفى مرجع الامامية فى القرن الثالث عشر وقد توفى سنة ١٢٦٦ هـ .

وقام فى عصرنا بشرح الشرائع سيدنا الحجة آية الله المرحوم السيد محمد مهدى الصدر نجل الامام المرجع الدينى الاعلى المرحوم السيد اسماعيل الصدر فقد كان رحمه الله يواصل ليله ونهاره فى شرح الشرائع وبيان اهدافها ، ويتداول الرأى فيما يكتب ويحرر مع اعلام اسرته وحضار درسه ومجلسه وفى مقدمتهم اخوه الاصغر واستاذى الاكبر الحجة آية الله المرحوم السيد حيدر الصدر البحر الزاخر فى الفقه والاصول ، والفذ بحل المشكلات العلمية المستعصية .

اما «قواعد الاحكام» فكان احسن من شرحها من المتقدمين الشيخ علي عبد العالى الكركى العاملي فى كتابه «جامع المقاصد» وقد توفى عام ٩٣٧هـ وكان

رحمه الله من مراجع الامامية على «عهد الصفويين» ويعرف بالمحقق الثانى •

ومن المتأخرين شرح الحجة المرحوم السيد الجواد العاملى جد اسرة آل الامين الشهيرة فى كتابه «مفتاح الكرامة» فى شرح قواعد العلامة وهو من المعاصرين للشيخ صاحب «الجواهر» رحمهما الله •

و«الجواهر» و «المفتاح» موسوعتان كبيرتان فى الفقه الجعفرى تقرأ فى الكتاب الاول الدقة العلمية مع بيان مدارك الاحكام الشرعية بصورة تفصيلية •

وتقرأ فى الكتاب الثانى تفصيل الاراء فى كل مسألة من الفقه الجعفرى وهو على غرار كتاب «مختلف العلامه» ولكنه اشمل واكثر تفصيلا لبيان الاراء ، ولاغنى للباحث المتتبع عن الرجوع اليهما لمعرفة الرأى والمدرك فى مختلف العصور • وقد طبع الاول على الحجر عدة طبعات واعيد طبعه هذه الايام فى النجف الاشرف باتقان واخراج حسن ، وقد طبع الثانى فى مصر منذ عهد بعيد •

«والجواهر» ان تم طبعه بثوبه الجديد فسيحدث نشره دويا فى الاوساط العلمية وسيعلم الباحثون فى كافة البلاد الاسلامية مدى قوة الرأى وسعة الافق لدى اعلام الشيعة فى سائر الادوار والعهود •

– ٤ –

وقد عنى العلماء الاعلام كذلك بشرح «المختصر النافع» بالنظر لدقته وشموله لاهم مواضيع الفقه على اختصاره ، فشرحه نفس المؤلف الامام المحقق الحلى شرحا اسماه « المعتبر فى شرح المختصر» وهو شرح مقتصر على شرح العبادات فحسب •

وقد ذكر فى المقدمة وصايا يجدر بطلاب العلم تدبرها والسير على ضوئها ،وتكلم فى المقدمة ايضا عن حجة فتوى «الائمة» سلام الله عليهم وعرض

لسند الاحكام ، وخبر الواحد ، والاجماع ، ودليل العقل ، والاستصحاب. فيجدر بالباحث الرجوع اليها، وحسب الكتاب منزلة انه من مؤلفات المحقق الحلى وكفى .

وشرحه ايضا فى زمن المحقق العلامة عزالدين حسن بن ابى طالب اليوسفى وقد فرغ منه سنة ٦٧٢ هـ .

وشرحه ايضا العلامة الحلى المتوفى سنة ٧٢٦هـ .

وكذلك شرحه عمنا السيد محمد بن على بن الحسين الموسوى صاحب «المدارك» وهو من كتاب النكاح الى اخر كتاب النذور (١) وقد توفى سنة ١٢٠٦ هـ .

وشرحه ايضا المير السيد على بن السيد محمد على ابو المعالى الطباطبائى المتوفى سنة ١٢٣١ هـ وهو مطبوع ويعكف طلاب العلم على دراسته ، والاستفادة منه ويسمى «رياض المسائل فى بيان احكام الشرع بالدلائل» وهو من احسن الشروح يدل على علم غزير وقوة فى المحاكمات والاستدلال ، واطلاع واسع على الفروع والاصول وله شرح اخر اسماه « الشرح الصغير» ولو جمع ما كتب فى شرح الشرائع والقواعد والمختصر لكون مكتبة كبيرة من الفقه الجعفري تدل على غور اعلام الامامية وعمقهم ، ودقة نظرهم ، وسعة اطلاعهم على الفروع وتخريجها على الاصول .

ولمرجع الشيعة آية الله السيد المحسن الحكيم دام ظله موسوعة فقهيه ضخمة هى « مستمسك العروة» ضمنها اراءه واراء الاعلام فى مختلف ابواب الفقه على طريقة التفصيل بما لا مزيد عليه فى ذكر الاراء وعرضها سواء فى الفروع او تخريجها على الاصول بادق فكرة واوضح بيان .

ومن اراد ان يطلع على تأسيس الامامية وسبقهم فى التأليف فى الفقه وفى غيره من الفنون الاسلامية التى احرزت «الشيعة» السبق فيها

فليرجع الى كتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام» لمؤلفه الامام آية الله سيدنا العم المرحوم السيد حسن الصدر ففيه كل ما يبتغيه الباحث المتتبع مما يدل على مقام اتباع «اهل البيت» فى العلم واثرهم فى الفكر والتأليف وسبقهم فى سائر الفنون الاسلامية •

- ٥ -

لقد طبع «المختصر النافع» فى مصر قبل سنين فقد طبعت وزارة الاوقاف المصرية هذا الاثر الجليل وهو على اختصاره قد جمع المسائل المهمة ، واعطى صورة واضحة لاراء الفقه الجعفرى ، والفاظه بدقتها ووضوح قصدها تصلح لان تكون موادا لدستور الاسلام فى الفقه الجعفري •

وكان لنشره وتوزيعه فى البلاد الاسلامية الفائدة الكبيرة فى تعريف الفقه الجعفرى وبث روح التعارف ، ورفع سوء التفاهم •

وقد عرف المطلعون عليه ان الفقه الجعفري كبقية فقه المذاهب الاسلامية الاخرى يستنبط احكامه واراءه من الكتاب والسنة النبوية بما فيها اخبار اهل البيت عليهم السلام •

وليس بينه وبين المذاهب الاسلامية الاربعة من فروق الا ماتراه بين مذهب وآخر من اختلاف اقتضاه الاجتهاد فى استنباط الاحكام ورحم الله احمد شوقى شاعر مصر حيث يقول :

ما الذى اضحك منى الظبيات العامرية
الأنى انا شيعي وليلى اموية
اختلاف الرأى لايفسد فى الود قضية

- ٦ -

و«للازهر» اليوم جهد مشكور فى توحيد الصف ، وتقريب الاراء فقد استجاب شيخ الازهر الجليل الشيخ محمود شلتوت رحمه الله لطلب

آية الله مجتهد الشيعة الاكبر المرحوم السيد عبدالحسين شرف‌الدين بادخال الفقه الجعفرى الى الازهر عند بحث الفقه المقارن ، ولاشك ان هذا التجاوب العلمى يبشرنا بمستقبل الامة الاسلامية الزاهر الذى ينتظره المخلصون .

ان عالم مصر وشيخ الازهر الراحل وصف العالم المتقى الذى تحلل من ربقة العصبية الذميمة فقال : « ان المتقى لله فى مقام ارتقاء العلم هو ذلك الذى لا تأخذه عصبيته ولا تسيطر عليه مذهبيته ، ولاينظر يمينا او شمالا دون قصده[٢] » .

ولقد وافق عمله قوله ويتجلى ذلك فى فتواه الشهيرة باحترام المذاهب الاسلامية‌الخمسة بدون‌فرق بين مذهب‌واخر فانظر اليه كيف‌يتحدث‌عن‌هذا الحدث التاريخى الاسلامى فيقول[٣] [ولقد تهيأ لى بهذه الاوجه من النشاط العلمى ان اطل على العالم الاسلامى من نافذة مشرقة عالية وان اعرف كثيرا من الحقائق التى كانت تحول بين المسلمين واجتماع الكلمة وائتلاف القلوب على اخوة الاسلام ، وأن اتعرف على كثير من ذوي الفكر والعلم فى العالم الاسلامى ، ثم تهيأ لى بعد ذلك ـ وقد عهد الى بمنصب «مشيخة الازهر» ان اصدر فتواي فى جواز التعبد على المذاهب الاسلامية الثابتة الاصول المعروفة المصادر المتبعة لسبيل المؤمنين وفيها مذهب الشيعة الامامية الاثناعشرية وهى الفتوى المسجلة بتوقيعنا فى «دار التقريب» التى وزعت صورتها الزنكغرافية بمعرفتنا والتى كانت لها ذلك الصدى البعيد فى مختلف بلاد الامة الاسلامية وقرت بها عيون المؤمنين المخلصين الذين لاهدف لهم الا الحق وانا مؤمن بصحتها ، ثابت على فكرتها ، اؤيدها فى الحين بعد الحين فيما ابعث به من رسائل او بيان ادعو به الى الوحدة والتمسك والالتفاف حول اصول الاسلام ، ونسيان الضغائن والاحقاد حتى اصبحت والحمد لله حقيقة مقررة تجرى بين المسلمين مجرى القضايا المسلمة بعد ان كان

المرجفون في مختلف عهود الضعف الفكري والخلاف الطائفي السياسي ينيرون في موضوعها الشكوك والاوهام بالباطل •

وها هوذا «الازهر» الشريف ينزل على حكم هذا المبدأ ، مبدأ التقريب بين المذاهب المختلفة فيقرر دراسة فقه المذاهب الاسلامية « سنيها وشيعيها » دراسة تعتمد على الدليل والبرهان ، وتخلو من التعصب لفلان او فلان ، كما انه يعتزم في تكوين « مجمع البحوث الاسلامية »(٤) ان يكون اعضاؤه ممثلين لمختلف المذاهب الاسلاميـة وبهذا تكون الفكرة التي آمنا بهـا ، وعملنا جاهدين في سبيلها قـد تركزت الآن • واصبحت رسالة « الدار » محل التقدير والتنفيذ » •

والواقع ان هـذه « الفتوى » حدث اسلامى كبير ، والاستاذ الاكبر المرحوم « شلتوت » هو اول مصلح من اخواننا استطاع فيعصرنا ان يجهر برأيه وقد عصمه الله من الناس كما عصم رسوله الكريم يوم بلغ رسالات ربه فى ولاية « الوصي » ونصب اخيه « علي » خليفة على المسلمين •

– ٧ –

ولا يسعني ـ وانا اعرض الى هذه الفترة المشرقة ـ الا ان اعترف بالفضل « لجماعة التقريب » بين المذاهب الاسلامية فقد كان لوجودها في مصر الاثر الفعال في توحيـد الصف ، وجمع الكلمة ، وتقريب الآراء العلمية والمذهبية ، والفضل كل الفضل يعود لعميديها المرحومين الشيـخ عبدالمجيد سليم والشيخ محمود شلتوت شيخي الازهر السابقين رضوان الله عليهما ، ولعلميها الحاضرين الشيخ محمد تقي القمي والشيخ محمد المدني فان لهوءلاء جميعا العمل الصالح ، والجهد المذكور المشكور •

والعلامة « القمي » ايده الله هو اول من دعا لهذه الفكرة ، واول من بذر هذه البذرة • واول من تعهدها بالسقى طوال السنين حتى اصبحت

البذرة شجرة باسقة مثمرة وهو الذى هجر وطنه الصغير لينعم بخدمة وطنه الاسلامي الكبير بارك الله في حياته التي وقفها على الاسلام ، وخدمة الصالح العام .

والعلامة « المدني » سدد الله خطاه هو احد اقطاب « الدار » وعضو جماعة كبار العلماء والشخصية المرجوة لان تسير على طريق علم مصر الشيخ « شلتوت » لما يتصف به « المدني » من علم وورع ، واخلاص ، وتفان فى سبيل خدمة الامة ، وجمع الكلمة .

- ٨ -

وانظر الى الشيخ الجليل «شلتوت» ـ وهو يتحدث فى مقاله «مقدمةقصة التقريب » عن اعلام الامامية ـ كيف يصف مشاركتهم في انرأي «لجماعة الدار» وكيف يراه فضلا يجب ان يسجل ويؤثر فيقول : « ولعلى أيضا كنت استطيع ان اتحدث عن صور لكثير ممن وهبوا انفسهم لهذه الدعوة الاسلامية ووقفوا عليها جهودهم ، وآمنوا بالتقريب سبيلا الى دعوة المسلمين وابراز محاسن الاسلام وغير هؤلاء كثيرون ممن سبقونا الى لقاء الله من ائمة الفكر في شتى البلاد الاسلامية الذين انضموا الى التقريب وبذلوا جهودهم لنشر مبادئه وساجلناهم علما بعلم ، ورأيا برأي ، وتبادلنا واياهم كثيرا من الرسائل والمشروعات والمقترحات وفي مقدمتهم المغفور له الامام الاكبر الحاج اقا حسين البروجردي احسن الله في الجنة مثواه والمغفور لهما الامامين الشيخ محمد الحسين آل‌كاشف الغطاء والسيد عبدالحسين شرف الدين الموسوي رضى الله عنهما .

لقد تلقى اولئك الاعلام دعوة التقريب اول نشأتها ففتحوا لها قلوبهم وعقولهم واصفوها اكرم جهودهم حتى ذهبوا الى ربهم راضين مرضيين وان لهم لتاريخا يذكر وفضلا يجب ان يسجل ويؤثر(٥) » .

والغريب ان نرى الاستاذ الاكبر يسجل بفخر الفضل لهؤلاء الاعلام ثم نرى في هذه الايام الدكتور مصطفى السباعي في مجلته «حضارة الاسلام» يضع الامام شرف الدين قدس سره في صف المفرقين ثم ينكر عليه فضله العلمي ، ويذكر اسمه مجردا حتى من نسبه العلوي وقد اقتفى أثر المرحوم « السباعي » الاستاذ الخطيب في كتابه «ابو هريرة راوية الاسلام» فقد تجنى كثيرا على « سيدنا » وتحامل تحاملا يأباه العلم والوجدان •

ولم يتعرض السيد رحمه الله في كتابه المسمى « ابو هريرة » للاحاديث المنسوبة اليه صلى الله عليه وآله الا اكبارا لاحاديث جده المصطفى ، واهتماما بمعرفة الصحيح منها شأن اعلام الحديث في الجرح والتعديل لمعرفة الرواة الثقات من المضعفين •

وكان الجدير بالاستاذين السباعي والخطيب ان يتجنبا التحامل الذى لا يبتني على الدليل فان الامة اليوم احوج ما تكون الى لمّ الشعث ، وتوحيد الصف ، وجمع الكلمة ، هدانا الله جميعا لما فيه الخير والصلاح •

---

(١) ولعله أراد بشرحه هذا أن يكون متمما لكتابه (المدارك) الذى اقتصر على العبادات فيكون الشرحان للشرائع والمختصر موسوعة فقهية اشتملت على ابواب الفقه كافة •

(٢) ص ١٩٥ من مجلة « رسالة الاسلام » المصرية محرم الحرام سنة ١٣٨٤هـ في عدديها ٥٥ و ٥٦ من مقال لشيخ الازهر تحت عنوان « مقدمة قصة التقريب » •

(٣) المصدر السابق « رسالة الاسلام » •

(٤) لقد دعا « الازهر » الشريف الى حضور « مجمع البحوث الاسلامية» بعد وفاة شيخه الاكبر «شلتوت» وكان من البحوث التى أجمع عليها المؤتمر الممثل من مختلف المذاهب الاسلامية هو فتح باب الاجتهاد الذى نادى به «الشيعة» وقالوا بفتحه منذ صدر الاسلام الى هذا اليوم وهذا ما جعل فقههم صالحا وقريبا في كل عصر •

(٥) نفس المصدر •

الأصول العبرانية والسريانية في الآداب العربية

للدكتور حسين علي محفوظ

في اللغة العربية كنوز من أصول التاريخ والادب ما زالت تحتاج الى بحث وتنقير وفي كثير من كتب الفقه والدعاء والحديث أشياء لم يعثر بها العلماء اذ أغفلوا تلكم الكتب ظانين أن مجاميع الادعية مثلاً كلمات تقرب الى الله وتقرأ في الصلوات فقط • ولكني وجدت في زوايا طائفة من تلك المجموعات المهملة من نفائس التواريخ ما لا يستغنى عنه •

كلنا نعرف ما في الشعر الجاهلي من كلمات وعبارات تدل على اطلاع بعض الشعراء العرب على الكتب المقدسة وعرفانهم أهل الكتاب •

ففي دالية النابغة :

لو أنها عرضت لاشمط راهب عبد الاله صرورة متعبد
لرنا لرؤيتها وحسن حديثها ولخاله رشداً وان لم يرشد

وفي معلقة امرىء القيس :

تضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب متبتل

وورد الزبور في شعر الملك الضليل مرتين في نونيته التي أولها :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان
أتت حجج بعدي عليك فأصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان

وقال ايضا في مطلع أخرى :

لمن طلل ابصرته فشجاني كخط الزبور في عسيب يمان

كما جاء في كلمة لبيد بن ربيعة العامري :

وجلا السيول عن الطلول كأنها ... زُبُرٌ تُجِدُّ متونها اقلامُها

وشواهد ذلك كثيرة .

هذا ـ وتوجد فى اللهجة اللبنانية مئون من الالفاظ الآرامية والسريانية والعبرانية ، وفى لهجة الموصل عشرات من الكلمات الارمية كذلك . عد عن التصريف والاشتقاق والصيغ والتراكيب . ولا انسى هنا الاشارة الى أن فى آثار الفارسية الوسطى (البهلوية) الموجودة ولا سيما كتاب (زند) وتفسيره « پازند » غير قليل من الكلمات الارمية وهي التي سماها الباحثون « هزوارش » .

ولقد عثرت فى خزانة فخر الدين النصيري الاميني بطهران قبل عشر سنوات تقريبا بالرواية الاسلامية للزبور اكتتبها العلامة الرحالة الرجالي المتتبع الخبير ميرزا عبدالله الجيراني الاصفهاني الملقب بالافندي المولود سنة ١٠٦٦ هـ المتوفى فى حدود ١١٢٩ هـ صاحب كتاب رياض العلماء وحياض الفضلاء ، نقلا من أصل قديم أصابه بخط ابن متّويْه الذى كان من علماء القرن الرابع الهجري .

كما عثرنا فى الروضة من كتاب الكافي في الحديث لأبى جعفر محمد ابن يعقوب بن اسحق الكليني الرازي المتوفى سنة ٣٢٩ بمناجاة الله لموسى ابن عمران عليه السلام ، وقد أوردها الشيخ الصدوق ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١ هـ فى كتاب المجالس ، وأثبتها ابو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني من اعلام القرن الرابع الهجرى فى كتابه القيم « تحف العقول» وهى ٢٦ فصلاً . وفي تحف العقول والروضة المورد ذكرهما ايضا مناجاة الله لعيسى عليه السلام وهي ٤٣ فصلا . وفي تحف العقول كذلك مواعظ المسيح فى الانجيل وحكمه وهي ٧٤ فصلا . وقد انتشر فى الاحاديث النبوية الشريفة

طرائف من كلمات موسى وعيسى والنبيين بلغت ما بلغه كلام الرسول من البلاغة والاعجاز والايجاز .

ومما لابد من الاشارة اليه أن العلامة العراقي الكبير الزاهد السيد رضي الدين ابا القاسم علي بن موسى بن جعفر ابن طاووس المتوفى سنة ٦٦٤ هـ الف ثلاثة كتب فى فهرس خزانته الجامعة الرائعة ، هي : (الابانة) الذي ضاع مع مزيد التأسف وكتاب (فرج المهموم فى معرفة نهج الحلال من علم النجوم) فى عشرة ابواب استودع فصولها ولا سيما الباب الخامس والثامن أسامي ما فى مكتبته الجليلة من اصول كتب النجوم التي خطت فى القرون الاولى فقد كان عنده نسخة من كتاب (التجمّل) تاريخها سنة ٢٣٨ هـ وأمثالها . والثالث كتاب (سعد السعود) الذي فيه صفة ما في خزانته من المصاحف والكتب المقدسة كالتوراة والانجيل والزبور وقد أورد جريا مع عادته فصولا اختارها من تلك النسخ العتيقة القيمة .

وأورد شيخ اساتيذنا العلامة المؤرخ المحدث الزاهد الشيخ عباس القمي المتوفى ليلة ٢٣ ذى الحجة سنة ١٣٥٩ فى مجموعة الادعية التي سماها (مفاتيح الجنان) دعاء معروفا يسمى « دعاء السمات » ويدعى ايضا « دعاء شبور » يقرأه الزهاد من المسلمين فى آصال الجُمع نقله رحمة الله عليه من (مصباح المتهجد) للشيخ محمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ ، وكتاب (جمال الاسبوع) للسيد رضي الدين ابن‌طاووس السالف ايراد ذكره ، وكتاب (جُنة الامان الواقية) المعروف بـ (المصباح) لتقي الدين ابراهيم بن علي بن الحسين بن محمد بن صالح الكفعمي المتوفى سنة ٩٠٥ هـ . وهذا الدعاء حافل بالعبارات والاسماء والالفاظ والمصطلحات الكتابية وهو أيمان كلها اشارات تكاد تكون مستفادة من سفر الخروج . فقد جاء فى أواسط دعاء السمات « واسألك بمجدك الذي كلمت به عبدك

ورسولك موسى بن عمران عليه السلام فى المقدّسين فوق احساس الكَرُوبَيْن فوق غمائم النور فوق تابوت الشهادة فوق عمود النار ، فى طور سيناء ، وفى جبل حوريث ، فى الوادي المقدس ، فى البقعة المباركة ، من جانب الطور الايمن ، من الشجرة ، وفى ارض مصر بتسع آيات بينات وفي المنبجسات التي صنعت بها العجائب فى بحر سوف ، وعقدت ماء البحر فى قلب الغمر كالحجارة ••• وأغرقت فرعون وجنوده ومراكبه فى اليم ••• وبمجدك الذى تجليت به لموسى كليمك •• ولاسحق صفيّك عليه السلام فى بئر سبع ، وليعقوب نبيك عليه السلام في بيت إيل ، وأوفيت لابراهيم عليه السلام بميثاقك ••• وليعقوب بشهادتك ••• وبعزتك ••• التي ••• انزجر لها العمق الاكبر ••• وبطلعتك فى ساعير ، وظهورك فى جبل فاران •• » •

فكلمة مجدك توافق الكلمة ١٦ من الاصحاح ٢٤ من سفر الخروج « وحل مجد الرب على جبل سيناء » •

والكروبان اللذان وردت صفتهما فى الاصحاح ٣٧ •

وغمائم النور : توافق الكلمة ٣٤ من الاصحاح ٤٠ •

وتابوت الشهادة : يوافق الكلمة ١٠ حتى ١٥ من الاصحاح ٢٥ والكلمة ٦ من الاصحاح ٣٠ •

وعمود النار : اشارة الى الكلمة ٢١ من الاصحاح ١٣ والكلمة ٢٤ من الاصحاح ١٤ •

وجبل حوريث : تصحيف جبل الله حوريب المذكور فى الكلمة الاولى من الاصحاح ٣ ولا يوجد فى التوراة حوريث ولكن فى الكلمة ١١ من الاصحاح الرابع فم الحيروث بين مجدل والبحر أمام بعل صَفُون • وهو غير الجبل المذكور •

والشجرة : هي المذكورة في الكلمة ٢٥ من الاصحاح ١٥ .

وتسع الآيات : اشارة الى الكلمة الاولى من الاصحاح ١٠ .

والعجائب : اشارة الى الكلمة ٢٠ من الاصحاح ٣ ، والكلمة ٩ من الاصحاح ١١ ، والكلمة ١١ من الاصحاح ١٥ ، ويلاحظ أن الدعاء استعمل كلمة (صنع) المستعملة بنفسها في التوراة .

وبحر سوف : مذكور في الكلمة ١٩ من الاصحاح ١٠ ، والكلمة ١٨ من الاصحاح ١٣ ، والكلمة ٤ من الاصحاح ١٥ ، وعبارة ماء البحر بعينها في الكلمة ١٩ من الاصحاح ١٥ .

ومراكبه : اشارة الى ستمائة مركب المذكور في ٦ و٧ و٩ و١٧ و٢٣ و٢٥ و ٢٦ و٢٨ من الاصحاح ١٤ من سفر الخروج كما عبر عنها في ٩ من الاصحاح الأول من نشيد الانشاد ب « مركبات فرعون » .

والمجد الذي تجلى به الله اشارة الى مجد السرب في ١٧ و١٠ من الاصحاح ١٦ .

وأما بئر سبع فقد جاء في ١٤ من الاصحاح ٢١ من سفر التكوين .

وبيت ايل : يوافق ايليم في ٢٧ من الاصحاح ١٥ والكلمة الاولى من الاصحاح ١٦ من سفر الخروج .

والعمق الاكبر : لعله اشارة الى (عمق السديم) الذى هو بحر الملح كما في ٣ ، ٨ ، ١٠ من الاصحاح ١٤ من سفر التكوين وهي (البحر الميت) الحالى المسمى ب (بحيرة طبرية) .

وساعير : هي سعير التي ذكرت في التوراة عند الكلام على الحوريين في ٦ من الاصحاح ١٤ من سفر التكوين .

وفاران : هي بُطمة فاران المذكورة في ٦ من الاصحاح ١٤ من سفر التكوين .

وميثاق ابراهيم : اشارة الى ١٨ من الاصحاح ١٥ من سفر التكوين .
وورد في الفاظ الدعاء قبة الرمّان والظاهر أنها جبة الرداء التي وضعوا على اذيالها رمانات كما في ٢٢ ـ ٢٦ من الاصحاح ٣٩ من سفر الخروج وقد تتفق المنازل المذكورة في متن الدعاء مع ما أشارت اليه التوراة في الاصحاح ٣٣ من سفر العدد .

ومن طرائف ما أود التنبيه عليه قصة الأرملة المسكينة التي ألقت فَلْسَين في الخزانة [وهي كل ما تملك] فأثنى عليها السيد المسيح في الكلمات الاربع الاولى من الاصحاح ٢١ من انجيل لوقا فعندنا مثل ذلك في الآداب العربية « الجود بالموجود اقصى غاية الجود » وقد روى الراغب الاصفهاني المتوفى سنة ٥٦٥هـ في كتابه الكبير (محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء) في الحد العاشر في فصل الجود والاجواد قصة الضيف الذي نزل على الانصاري وما اشبه هذه بتلك .

بعلبك ..

للشاعر صالح الجعفري

القي على الجيل الجديد دروسا ... وتألقي عبر الخلود شموسا

بوحي بسر الخالدين وانه ... لولا ضلوعك لامحّى مطموسا

أبقوك • بل أنت التي أبقيتهم ... أثرا يدل وشاهدا ملموسا

ذات العماد وآية الفن التي ... بقيت على هرم البناة عروسا

مرّي على الدهر اللئيم كريمة ... وتبسمي وليستمرّ عبوسا

نظرت لك الاديان تفضل بعضها ... فعزفت عاكفة على ابليسا

★ ★ ★

يا جدة الاجيال تلك صغارها ... زحفت اليك مع الدجى تغليسا

قصي عليها ما جناه جدودها ... بالظلم حتى نكسوا تنكيسا

قصي عن الاسد الضواري جوّعا ... يُطعمن احرار الكماة الشوسا

وعن الضلوع الحاسرات تخذن من ... نسج السياط على السياط تروسا

وعن الصخور تحدرت فوق الذي ... جاب الصخور فغادرته دريسا

قصي علينا ما شهدت وانصتي ... نقصص عليك شقاءنا والبوسا

شادت ثمود لصالح رساً وقد ... شدنا لكل الصالحين رسوسا

وتقدمت منّا العقول فبدلت ... تلك الرسوس معاقلا وحبوسا

خانوا بناقة صالح لكننا ... خنّا بأحمد والمسيح وموسى

بادوا بما ظلموا وأمهلنا لكي ... نزداد اثما أو نزيد رجوسا

★ ★ ★

قالوا : سبقنا الاقدمين واين من بنياننا بنيانهم ان قيسا
قلت : ارأبوا هذا العمود تصدعت فقراته أو انهضوه جليسا
أو توجوا ذاك العمود برأسه فلقد أطال مكونه مرؤوسا
أو اصلحوا خلل الزلازل طارئا أو رمموا أو قوموا التقويسا
فاذا خذلتم فى أتم سلاحكم فتجنبوا التهويش والتهويسا
جابوا الصخور بمثلها من بأسهم ومراسهم واستنفروا الجاموسا
حشدوا الحبال الى العصيّ وجنّدوا للمعجزات حجارة وفؤوسا
وبمثل هاتيك البسائط اتقنوا التطعيم والتنجيد والتلبيسا
وبعامل العزم المؤزّر وحده رفعوا البناء ونصّبوا (باخوسا)
وكأنهم علموا بأن بنيهمُ سيكابرون فأحكموا التأسيسا

★ ★ ★

فينوس : قد هلك البعول ولم تزل ام العرائس تصطفيك عريسا
ساد الظلام فلست ابصر سامرا بين الطيوف ولا احس أنيسا
ومشى على مُتع الحياة ولهوها صمت يحيل العامرات رموسا
نامت بيوت الدين الا مقصفا صلّى لوجهك هيكلا قدوسا
ابدعت جسمك فتنة وعرضته لتذيب ارواحا به ونفوسا
تحيي الليالي الحمر عندك تبتغي عن بعض ما شقيت به تنفيسا
اغويتها فاذبتها فى بعضها وضحكت منها نشوة ورؤوسا
فينوس : والايام تخلف بعضها متشابهات حالة ولبوسا
ان مرّامسك آنسا فلقد بدا للعين يومك آهلا مأنوسا
ارقص : فهذي عاد الاخرى على اعقاب اولاها اتت فينوسا
حملت باحدى راحتيها حبها خمرا وبالاخرى القلوب كؤوسا
عشقتك اغنية الصبا وعشقتها لحنا على شفة الشباب نفيسا
رقصت وغنت شطر وجهك مثل ما صلى اليك جدودها تقديسا

مراجع جديدة عراقية

للمستدرك على تاريخ الادب العربي لبروكلمان

للاستاذ كوركيس عواد

لم يؤلَّف في تاريخ الآداب العربية ، كتابٌ أوسع نطاقاً وأكثر شمولاً وأشدّ استيعاباً لأسماء الكتب ومؤلفيها ومظانّها ، من كتاب « تاريخ الأدب العربي »[1] ، للعلامة المستشرق الألماني الذائع الصيت ، كارل بروكلمان (١٨٦٨ ـ ١٩٥٦) • فلقد أفنى من عمره في تأليف هذا الكتاب ، متناً وتذييلاً ، نيفاً ونصف قرن ، رجع في خلالها الى كل ما وصلت اليه يده من كتب الادب والتاريخ والتراجم وغيرها من المراجع ولا سيما « فهارس المخطوطات والمطبوعات العربية » التي نُشرت في أوربة وأميركة والبلاد العربية والشرقية • وقد سرد أسماء تلك الفهارس في كتابه ، فاذا بها وحدها تؤلف خزانة حافلة بأمهات الفهارس التي عُني بتأليفها وطبعها جماعة من المستشرقين ومن أبناء الشرق • فكان من هذا البحّاثة العظيم ، أن تناول هذه الفهارس واحداً واحداً ، ونخل ما فيها من أسماء الكتب المخطوطة والمطبوعة ، منوّهاً بكلٍ منها في كتابه • فجاء كتابه بعد هذا الجهد الجهيد والصبر المتواصل المديد ، موسوعة مترامية الأطراف ، متشعبة المباحث ، مستوعبة لكل ما يراد الوقوف عليه مما له صلة بتاريخ الأدب العربي ، قديمه وحديثه •

لقد طبع كتاب بروكلمان أولا في مجلدين ، ظهرا فی مدينة فايمار بألمانية سنة ١٨٩٨ ـ ١٩٠٢ • وكان الواقفون عليه من أبناء الشرق العربي يوم ذاك ، قلة ضئيلة • أما المستشرقون والباحثون من أبناء الغرب ، فقد تلاقفوه ، حتى أصبح مرجعهم الأعظم في هذا الميدان الثقافي •

ولم تمض الا سنوات معدودات على تلك الطبعة ، حتى كادت أن تنفد ، وأخذت نسخها تتوارى عن الانظار شيئا فشيئا لدى باعة الكتب ، وأصبح هذا السفر الجليل من نوادر المطبوعات التي يتطلبها المعنيون بتاريخ الآداب العربية •

على ان بروكلمان ، بعد ان طبع كتابه هذا ، لم ينفض يده منه ، بل أخذ يضيف اليه ، ويستدرك على ما فيه من مواد ، ويعدل وينقح ويصحح ، ما أسعفته المراجع الجديدة التي انتهت اليه من بعد طبعته تلك •

ولا مراء في ان كثيرا من الكتب العربية قد عثر عليها منذ صدور الطبعة الاولى من كتاب بروكلمان ، وان عددا كبيرا من التراث العربي قد نشر بالطبع بعد ان كان غارقا في سبات النسيان ، منزويا في رفوف بعض الخزائن •

وبطبيعة الحال ، كان بروكلمان ، يتتبع أمر المخطوطات المكتشفة ، ويحاول الوقوف على ما طبع من كتب التراث ، سواء أكانت طبعاته علمية محققة ، أم تجارية مشوهة • فأشار الى كل جديد عثر عليه في هذا الباب • فكان له من ذلك جميعا ، مادة غزيرة ثرة ، فتحت لكتابه آفاقا جديدة ، فاتسعت المواد عنده وتزاحمت تزاحما شديدا حمله على أن يعيد طبع كتابه معززاً بجميع هذه الاستدراكات والتصحيحات •

فأعاد الكتبي الشهير بريل (E.J. Brill) في ليدن (هولندة) ، طبعة هذا الكتاب • ولكنه في هذه الطبعة المجددة ، ازداد حجمه الى حد بعيد • فبعد أن كانت طبعة الكتاب الأولى تتألف من مجلدين ، قوامهما (١٢٦٥) صفحة ، أصبح في هذه الطبعة الثانية يتألف من خمسة مجلدات ، قوامها (٤٧٧٨) صفحة • وقد جعل المجلدين الاولين ، طبعة ثانية للكتاب ، والمجلدات الثلاثة الأخيرة « ذيلاً » على الكتاب •

وكان من حسن حظ أبناء العربية ، ان « الادارة الثقافية » في جامعة الدول العربية ، تبنت مشروع ترجمة هذا الكتاب الحافل الى اللغة العربية . فعهدت بذلك الى استاذ جليل يحسن اللغة الالمانية ، وهو من المتوفرين على اللغة العربية وادابها . ذلك الاستاذ هو الدكتور عبد الحليم النجار . فقد نقل من هذا الكتاب شطرا الى اللغة العربية ، فصدر من الترجمة ثلاثة أجزاء ، نشرتها « دار المعارف » في القاهرة سنة ١٩٥٩ ـ ١٩٦٢ م قوامها جميعا زهاء ألف صفحة . واذا قارنا القسم المترجم بالاصل ، أدركنا ان هنالك مراحل طويلة يجب أن تقطع حتى يتم نقل الكتاب برمته . ولعل مجموع أجزاء الترجمة العربية لن يقل في جملته عن عشرة أجزاء من غرار الأجزاء التى بأيدى قراء العربية .

ولكن ما يؤسف له أشد الأسف ، ان الاستاذ المترجم لم يسعفه العمر لانجاز هذا العمل النافع . فقد وافاه الأجل قبل نحو من سنة ، فتوقفت ترجمة الكتاب منذ ذلك الحين حتى اليوم .

وأذكر انني وقفت في مجلة « المكتبة » ، على نبأ يشير الى ان ترجمة باقى هذا الكتاب ، ستلقى نصيبها من العناية ، وان الادارة الثقافية قد ناطت اتمام هذا العمل العلمى ، بمن ينهض به خير نهوض .

أما النهج الذي سار عليه المترجم في ترجمة ما ترجم من الكتاب ، فهو ان يوحد بين مواد «متن» الكتاب و «ذيله» . وبذلك يكون قد جمع ما تفرق بينهما من معلومات ، في صعيد واحد . وهي خطة مثلى قويمة . ولا نخال بروكلمان نفسه ، لو تيسر له اخراج كتابه بالوجه الذي يرتضيه هو ، لما أخرجه الا بهذا الوجه « الموحد » .

على ان المترجم ، رحمه الله ، وقف في اخراج هذا الكتاب الى اللغة العربية ، عند حدود الترجمة . وعندنا ان مجال الاضافة والاستدراك والتصحيح واسع الى أبعد حدود السعة .

ورب قائل يقول : ان الاتيان بمثل هذا الاستدراك ، سيخرج المترجم عن حدود عمله ، ويبعده عن القصد من نقل الكتاب • وجوابنا ان ذلك قد يكون صحيحا • فاذا كان للمترجم عذره في ذلك ، أفليس هنالك من في وسعه أن يتناول بعد ذلك هذه الترجمة العربيـة بالتحقيق والاستدراك ، فيضيف بذلك حسنة جديدة الى حسنات الكتاب الكثيرة •

مضى على ظهور اخر مجلدات الطبعة الثانية من الكتاب نحو من سبع عشرةسنة ، نشرت خلالها عشرات الفهارس للمخطوطات والمطبوعات العربية ظهرت في أقطـار أوربة وأميركة ، وفي العراق ومصر ولبنان وسوريـة وشمالي افريقية ، وفي تركية وايران والهند وباكستان وغيرها •

فما في هذه الفهارس من أسماء « المخطوطات » ، دون غيرها من المطبوعات ، مما يستدرك كله على كتاب بروكلمان • ولست أعنـي ان بروكلمان لم يذكر في مؤلفه أسماء هذه المخطوطات • ولكنني أريد ان أقول ، انه لم يدرك زمن ظهور هذه الفهارس ، ففاتته الاشارة الى مظان كثير من المخطوطات العربية التي تشتتت في خزائن كتب الخافقين •

ان هذه « الفهارس » ، أعظم مرجع لوضع «المستدرك» الجديد على كتاب بروكلمان •

ولقد تناهى الى سمعي ، ان الاستاذ التركي الشهير فؤاد سزگين ، قد تحفى لوضع هذا المستدرك ، وانه قد طبعه او لعله الآن في سبيل طبعه• وما من شك في أن هذا الاستاذ ، قد وقف على كثير من فهارس المخطوطات العربية التي نشرت حديثا لخزائن كتب الشرق والغرب •

ومع ذلك ، أرى من المناسب حقا ، ان اذكر في هذا المقام ، أسماء ما صدر من فهارس للمخطوطات والمطبوعات العربية التي تحتضنها خزائن كتب «العراق» وحده ، دون غيره من الاقطار ، وذلك خلال الفترة الممتدة

بين ظهور الطبعة الثانية لكتاب بروكلمان ، وبين هذه السنة التي نحيا فيها •

وقد رتبت هذه الفهارس والأثبات ، على حسب السياق الهجائي لشهرة مؤلفيها • فاذا كان لأحدهم أكثر من كتاب واحد ، سلسلت تلك الكتب وفقا لسني طبعها[٢] :

آل ياسين (الشيخ محمد حسن) :

١ ـ السيد علي آل طاووس (٥٨٩ ـ ٦٦٤ هـ) : حياته ـ مؤلفاته ـ خزانة كتبه • (مجلة المجمع العلمي العراقي ١٢ [١٩٦٥] ص ١٩٢ ـ ٢١٣ ؛ ١٣ [١٩٦٦] ص ٢٧٦ ـ ٣٠٩) •

ادارة مكتبة آية الله الحكيم العامة :

١ ـ من نوادر مخطوطات مكتبة آية الله الحكيم العامة في جامع الهندي بالنجف (مط النجف ـ النجف ١٩٦٢ ؛ ١٥٨ ص + ٢٠ ل) •

اغا بُزُرْك الطهراني (الشيخ) :

١ ـ الذريعة الى تصانيف الشيعة : موسوعة جليلة تضمنت أسماء المخطوطات والمطبوعات التي ألفها أبناء الشيعة ، منذ بدئهم بالتأليف حتى العصر الحاضر • صدر منه ١٥ جزءا في ١٧ مجلدا • (النجف ـ طهران ١٩٣٩ ـ ١٩٦٥) • ولم يتم طبعه بعد •

٢ ـ المشيخة ، او الاسناد المصفى الى آل المصطفى • (مط الغري ـ النجف ١٩٤٠ ؛ ١٠٠ ص) •

٣ ـ مصفى المقال في مصنفي علم الرجال • (مط دولتي ايران ـ طهران ١٩٥٩ ؛ ٦٢٦ ص) •

الأميني (محمد هادي) :

١ ـ مخطوطات مكتبة الامام أمير المؤمنين العامة في النجف • (ستة فصول نشرها سنة ١٩٦٢ في المجلد الخامس من مجلة «النجف») •

٢ ـ مصادر الدراسة عن النجف والشيخ الطوسي . (مط النجف ـ النجف ١٩٦٣ ؛ ص ٦٧ ـ ١٢٢) . كتب القسم الخاص بالطوسي .

٣ ـ مخطوطات النجف : وصف لطائفة كبيرة من هذه المخطوطات . نشره في مجلة « عالم المكتبات » سنة ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤ ، وفي مجلة «المكتبة» أيضا » .

٤ ـ مخطوطات مكتبة آية الله السيد محمد البغدادى الحسنى في النجف . (مط القضاء ـ النجف ١٩٦٤ ؛ ١٩١ ص) .

٥ ـ معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام . (مط الآداب ـ النجف ١٩٦٥ ؛ ٤٩٦ ص) .

٦ ـ معجم المطبوعات النجفية منذ دخول الطباعة الى النجف حتى الآن . (مط النعمان ـ النجف ١٩٦٦ ؛ ٤٠٠ ص) .

الجُبُوري (عبد الله) :

١ ـ المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف . (مط المعارف ـ بغداد ١٩٦٥ ؛ ٤١٢ ص) .

حيّــاوي (عبدالرحمن حسن) :

١ ـ قائمة مكتبة النهضة للطباعة والنشر والتوزيع في بغداد . (مط دار التضامن ـ بغداد ١٩٦٣ ؛ ٢٨١ ص) .

الحيدري (السيد شمس الدين) :

١ ـ منشورات المكتبة الأهلية [المؤسسة في بغداد سنة ١٩٢٢] وفهرس الكتاب العراقي . (مط أسعد ـ بغداد ١٩٦٤ ؛ ١٧٥ ص) .

الخاقاني (علي) :

١ ـ الآثار المخطوطة ببغداد (نشر في السنة الأولى من مجلة « الغري » الصادرة في النجف ، سنة ١٩٣٩) .

٣ ـ مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة : صدر في ثلاثة أقسام :

الأول : (مجلة المجمع العلمي العراقي ٨ [١٩٦١] ص ٢١٨ ـ ٣١٣) • ثم طبع على حدة • (مط المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٩٦١ ؛ ٩٨ ص) •

الثاني : (مجلة المجمع العلمي العراقي ٩ [١٩٦٢] ص ٣٦٥ ـ ٤٢٨) •

الثالث: (مجلة المجمع العلمي العراقي ١٠ [١٩٦٣] ص ٢٠٥ ـ ٢٧٤) • وقد طبع القسمان الثاني والثالث معا على حدة • (مط المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٩٦٣ ؛ ١٣٦ ص) •

دار الكتب المصرية :

١ ـ قائمة بالكتب والمراجع عن العراق • (مط دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٦٠ ؛ ٥٧ + ٣٠ ص) • أعدها قسم الارشاد في دار الكتب •

الدجيلي (عبدالحميد) :

١ ـ مخطوطات ثمينة في خزانة المتحف العراقي [بغداد] • (سومر ٧ [١٩٥١] ص ٢٨٤ ـ ٢٩٣) •

٢ ـ رسائل اسماعيلية قديمة نادرة [في مكتبة الأب أنستاس الكرملي بغداد] • (مجلة المجمع العلمي العراقي ٣ [١٩٥٥] ص ٤٠٥ ـ ٤٢١) •

الرجب (قاسم محمد) :

١ ـ قائمة مكتبة المثنى ببغداد : صدر منها سبعة فهارس ، وهي :

الاول : (القاهرة ١٩٥٦ ؛ ٢٨٨ ص) •

الثاني : (مط شفيق ـ بغداد ١٩٥٨ ؛ ٢٨٢ ص) •

الثالث : (مط العاني ـ بغداد ١٩٥٩ ؛ ٣٨٧ ص) •

الرابع : (مط العاني ـ بغداد ١٩٦٠ ؛ ٣٧٢ ص) •

الخامس : (مط شفيق ـ بغداد ١٩٦٢ ؛ ٤٨٠ ص) •

السادس : (مط شفيق ـ بغداد ١٩٦٣ ؛ ٥٢٤ ص) •

السابع : (مط شفيق ـ بغداد ١٩٦٥ ؛ ٥٦٤ ص) •

في هذه الفهارس ، أسماء طائفة كبيرة مما طُبع في العراق خلال تلك السنوات •

٢ ـ المكتبة : مجلة شهرية ، تتناول شؤون الطباعة والنشر والكتب والمكتبات والحركة الادبية في العراق خاصة • يحررها الاستاذ مهدي القزاز • صدر العدد الاول من سنتها الاولى في أيار سنة ١٩٦٠ ، وما زالت تصدر حتى اليوم •

٣ ـ نوادر المطبوعات العربية التي أحيتها مكتبة المثنى بالنشر بطريقة الاوفست • (طهران ١٩٦٦) •

زاهد (عبدالحميد) :

١ ـ قائمة المكتبة الوطنية في بغداد • (مط الراعي ـ النجف ١٩٣٦ ؛ ٥٦ ص) •

الطعمة (سلمان هادي) :

١ ـ الآثار المخطوطة في كربلاء : سلسلة مقالات نشرها في التعريف بمخطوطات خزائن كتب كربلاء ، ونشرها في أجزاء السنوات ١٩٦٣ و ١٩٦٤ و ١٩٦٥ و ١٩٦٦ من مجلة « المكتبة » التي تصدرها مكتبة المثنى ببغداد •

طلس (الدكتور محمد أسعد) :

١ ـ الكشّاف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف [بغداد] • (مط العاني ـ بغداد ١٩٥٣ ؛ د + ٤٢٩ ص) •

عبدالرحيم محمد علي :

١ ـ مصادر الدراسة عن النجف والشيخ الطوسي • (مط النجف ـ النجف ١٩٦٣ ؛ ص ٦ ـ ٦٦) • كتب القسم الخاص بمدينة النجف•

العلوجي (عبدالحميد) :

١ ـ جمهرة المراجع البغدادية : فهرست شامل بما كُتب عن بغداد منذ تأسيسها حتى الآن • (بالاشتراك مع : كوركيس عواد) • (مط الرابطة ـ بغداد ١٩٦٢ ؛ ٦٤٤ + ٩٥ ص) •

٢ ـ مؤلفات ابن الجوزي • (شركة دار الجمهورية للنشر والطبع ـ بغداد ١٩٦٥ ؛ ٢٩٠ ص) •

عوّاد (كوركيس) :

١ ـ أقدم المخطوطات فى خزانة الاوقاف العامة ببغداد [وهي ما كانت مكتوبة قبل سنة ١٠٠٠ للهجرة] • (سومر ٣ [١٩٤٧] ص ٢٣٦ ـ ٢٦٩ ؛ ٤ [١٩٤٨] ص ١١٣ ـ ١٣٥ ، ٢٢٠ ـ ٢٥٣) •

٢ ـ مخطوطات الكرمليين فى خزانة المتحف العراقي• (سومر ٧ [١٩٥١] ص ٢٧٨ ـ ٢٨٣) •

٣ ـ ما ُطبع عن ُبلدان العراق باللغة العربية : ظهر فى ثلاثة أقسام :

الاول : سومر ٩ [١٩٥٣] ص ٦٣ ـ ٩٧

الثاني : سومر ٩ [١٩٥٣] ص ٢٩٥ ـ ٣١٦

الثالث : سومر ١٠ [١٩٥٤] ص ٤٠ ـ ٧٢

وقد ُأفرد كل قسم منها في رسالة ُطبعت فى تلك السنة بمطبعة الرابطة فى بغداد •

٤ ـ مخطوطات مكتبة المتحف العراقي • (مجلة معهد المخطوطات العربية ١ [١٩٥٥] ص ٣٧ ـ ٤٨) •

٥ ـ مدينة البصرة : مكتباتها ومخطوطاتها • (مجلة معهد المخطوطات العربية ١ [١٩٥٥] ص ١٦٣ ـ ١٦٩) •

١ ـ خزانة آل باش أعيان العباسي ، وتُعرف بالمكتبة العباسية•

٢ ـ خزانة محمد احمد المحامي •

٣ ـ خزانة آل القزويني •

٦ ـ المخطوطات العربية فيمكتبة المتحف العراقي : ظهر منهذا الفهرست ثلاثة أقسام :

الاول : المخطوطات التاريخية • (سومر ١٣ [١٩٥٧] ص٤٠-٨٢)•

ثم ُطبع على حدة (مط الرابطة ـ بغداد ١٩٥٧ ؛ ٤٤ ص) •

الثاني : المخطوطات الادبية • (سومر ١٤ [١٩٥٨] ص١٢٧-١٧٩)•

ثم ُطبع على حدة • (مط الرابطة ـ بغداد ١٩٥٨ ؛ ٥٣ ص)•

الثالث : مخطوطات الطب والصيدلة والبيطرة • (سومر ١٥ [١٩٥٩] ص ٢٥ ـ ٥٢) • ثم ُطبع على حدة • (مط الرابطة ـ بغداد ١٩٥٩ ؛ ٢٨ ص) •

٧ ـ جمهرة المراجع البغدادية • (بالاشتراك مع : عبدالحميد العلوچي • انظر : العلوچي) •

٨ ـ الآثار المخطوطة والمطبوعة في الفولكلور العراقي • (التراثالشعبي ١ [بغداد ١٩٦٣] الجزء ١ ؛ ص ١٠ ـ ٢٥) • ثم ُأفرد في رسالة •

٩ ـ فهرست مجموعة مخطوطات يعقوبسركيس فيمكتبة جامعة الحكمة• (مط بالرونيو ـ بغداد ١٩٦٣ ؛ ١٢ ص) •

١٠ـ المعرّب من كتب الرحلات الاجنبية الى العراق • (الاقلام ١ [بغداد ١٩٦٤] الجزء ١ ؛ ص ٥٤ ـ ٧٤) •

١١ ـ المباحث اللغوية في مؤلفات العراقيين المحدثين ١٨٠٠ ـ ١٩٦٥ م • (مط العاني ـ بغداد ١٩٦٥ ؛ ١٥٠ ص) •

١٢٠ ـ فهرست المخطوطات العربية فى خزانة قاسم محمد الرجب ببغداد :
ظهر منه قسمان :

الاول : مط المجمع العلمي العراقي ـ بغداد ١٩٦٥ ؛ ٢٩ ص • وقد نشر أولا فى مجلة المجمع العلمي العراقي (١٢ [١٩٦٥] ص ١٦٥ ـ ١٩١) •

الثاني : مط الارشاد ـ بغداد ١٩٦٦ ؛ ٣٢ ص •

١٣٠ ـ فهرست مخطوطات خزانة يعقوب سركيس المهداة الى جامعة الحكمة ببغداد • [مط العاني ـ بغداد ١٩٦٦ ؛ ٢٢٤ ص) •

الكرملي (الاب أنستاس ماري) :

١ ـ مخطوطات خزانة الكرمليين النصرانية ببغداد • (مجلة « نشرة الاحد » : مقالات متسلسلة ظهرت فى المجلدات ٨ و٩ و١٠ الصادرة فى بغداد سنة ١٩٢٩ و ١٩٣٠ و ١٩٣١) •

محفوظ (الدكتور حسين علي) :

١ ـ المخطوطات العربية فى العراق • (مجلة معهد المخطوطات العربية ٤ [١٩٥٨] ص ١٩٥ ـ ٢٥٨) • ذكر فيه ما في الخزائن الآتية من مخطوطات :

١ ـ خزانة عبدالباقي الطيار وابنه هاشم فى بغداد •

٢ ـ خزانة السيد ضياء شكارة فى العمارة •

٣ ـ خزانة الشيخ علي آل كاشف الغطاء فى النجف •

٤ ـ مكتبة الامام المهدي العامة فى سامراء (وقفية ميرزا محمد الشريف الطهراني العسكري سنة ١٣٧١ هـ) •

٥ ـ خزانة الشيخ محمد علي اليعقوبي فى النجف •

٦ ـ تركة الشيخ محمد السماوي فى النجف •

٧ ـ خزانة السيد حسن الصدر فى الكاظمية •

٨ ـ خزانة الشيخ عبدالرزاق العاملي فى الكاظمية •

٩ ـ خزانة الشيخ عبدالصاحب الانصاري في الكاظمية •

١٠ ـ مكتبة الامام الكاظم العامة فى الكاظمية •

١١ ـ خزانة الشيخ عبدالحسن الاسدي فى الكاظمية •

١٢ ـ خزانة الشيخ محمد رضا شالجي موسى فى الكاظمية •

١٣ ـ مكتبة الامام الصادق العامة في الكاظمية •

١٤ ـ مكتبة الجوادين العامة فى الكاظمية •

١٥ ـ خزانة السيد علي بن الحسين الهاشمي الخطيب فى الكاظمية •

١٦ ـ خزانة جامعة مدينة العلم فى الكاظمية

٢ ـ فهرس الخزانةالغروية بالنجف• (مجلة معهد المخطوطات العربية ٥ [١٩٥٩] ص ٢٣ ـ ٣٠) •

٣ ـ خزانة الدكتور حسين علي محفوظ بالكاظمية فى العراق • (مجلة معهد المخطوطات العربية ٦ [١٩٦٠] ص ١٥ ـ ٥٨) •

المكتبة المركزية لجامعة بغداد :

١ ـ مجاميع الكتب العربية الموجودة فى المكتبة المركزية ١٩٥٩ ـ ١٩٦٥ : (فهرس موضوعي ، صدر منه ثلاثة مجلدات مطبوعة بالرونيو : بغداد ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ ؛ ١٢٩ و٢٩٩ و٢٥٣ ص) •

٢ ـ الكتب المطبوعة فى العراق لعام ١٩٦٣ ابتداء من ١٧ تموز • (مط بالرونيو ـ بغداد ١٩٦٣ ، ٥ + ٣ ص) •

٣ ـ النشرة العراقية للمطبوعات : ملحق ١٩٦٣ • (مط بالرونيو ـ بغداد ١٩٦٣ ؛ ٤ ص) •

٤ ـ النشرة العراقية للمطبوعات ١٩٦٤/١/١ ـ ١٩٦٤/٧/١ • (مط بالرونيو ـ بغداد ١٩٦٤ ؛ ٨ + ٣ ص) •

٥ ـ النشرة العراقية للمطبوعات ١٩٦٤/٧/١ ـ ١٩٦٤/١٢/٣١ • (مط

بالرونيو ــ بغداد ١٩٦٤ ؛ ٨ + ٣ ص) •

٦ ــ النشرة العراقية للمطبوعات : ملحق ١٩٦٤ • (مط بالرونيو ــ بغداد ١٩٦٤ ؛ ٥ ص) •

٧ ــ النشرة العراقية للمطبوعات : ملحق رقم (٢) لسنة ١٩٦٤ • (مط الرونيو ــ بغداد ١٩٦٤ ، ٥ ص) •

٨ ــ النشرة العراقية للمطبوعات ١٩٦٥/١/١ ــ ١٩٦٥/٧/١ • (مط بالرونيو ــ بغداد ١٩٦٥ ؛ ١١ ص) •

٩ ــ النشرة العراقية للمطبوعات ١٩٦٥ : القسم الثاني • (مط بالرونيو ــ بغداد ١٩٦٥ ؛ ٨ ص) •

★ ★ ★

وهنالك ، غير ما ذكرنا ، جملةٌ كبيرة من الفهارس والاثبات العراقية المتعلقة بالكتب المخطوطة والمطبوعة • وقد ضربنا صفحا عن ذكرها ، لأنها ما زالت مخطوطة • ومن ثمّة يصعب على الباحثين ــ وهي لمّا تُطبع ــ أن يتخذوا منها مراجع ، ولا سيما في مثل هذا المستدرك على كتاب بروكلمان الذي ألمعنا اليه في صدر المقال •

---

(١) Brockelmann (Carl), Geschichte der Arabischen Litteratur. (2nd ed., 2 vols., Leiden 1943 — 1949. Supplement: 3 vols., Leiden 1937 — 1942).

(٢) أتخذنا في هذا الثبت ، المختصرات الآتية :

ص = صفحة •

ل = لوح ، لوحة •

مط المط = مطبعة ، المطبعة ، مطبوع •

لا تقل مات الوفاء

للشاعر محمد علي الحسيني

لا تقل مات الوفاءُ لم يزل بعدُ رجاءُ

لم يزل في واحة الايام ، نبعٌ وصفاء

لم يزل يعبق في الصحراء ، عطرٌ وشذاءُ

واذا غاضت ينابيع فقد تهمي سماء

واذا اشتدت (أعاصير) فقد يعلو لواء

لاتقلْ مات ـ وان قلَّ على الارض ـ الوفاء

انما الدرُّ قليل وكثيرون الحصاء

★ ★ ★

ايهِ يا صاح ، من الاعماق قد فاض نداء

انما نحن أحبّاءُ اذا اشتدَّ بلاء

ومع البلوى ـ كما قالوا ـ يعزُّ الاصدقاء

فْليمت يأسك ولْيحيَ مع الخصب الرجاء

خضلاً قد نثّه من بسمة الفجر ضياء

وحياةً أن يموت الحقل اذ زخَّ حياء

محمد علي الحسيني ،

(من ندوة عكاظ)

تطور الفكر الجغرافي عند المسلمين

للاستاذ خليل اسماعيل محمد

يقصد بالفكر الجغرافي ، طريقة النظر الى المشاكل الجغرافية وكيفية دراستها ، وتعنى الجغرافية عند اليونانيين الخرائط والاطالس ، بينما هي عند العرب ، المسالك والممالك تارة والبلدان تارة اخرى ، وهي عبارة عن وصف اجتماعي كما عند ابن بطوطة ومعظم الرحالة العرب .

ولقد فكرت معظم الشعوب التي عاشت في الماضي والحاضر بما يحيطها من مظاهر جغرافية بطريقتها الخاصة . على ان الفكر الجغرافي مر بفترة مظلمة ، وذلك منذ منتصف القرن الثاني الميلادي واستمر يتخبط في الظلام ، وكان من أهم أسباب تدهوره خضوعه لتعاليم الكنيسة الرومانية التي اخذت تفسر كل شيء على هدى فهمها وتفسيرها للكتاب المقدس .

وفي الوقت الذي كاد جفن الفكر الجغرافي يغمض كليا .. رنت اجراس الهدى لتوقظه .. فقد شق الاسلام طريقه الى العالم من الجزيرة العربية ، على ان هذا لايعني انه لم يك قبل الاسلام تراث جغرافي .. اذ زخرت افكار الفينقيين والبابليين بالمعارف الجغرافية والفلكية ، وترجع اراء وخرائط بطليموس البيلوزي في معظمها الى المصريين والبابليين كما سبق بطليموس هذا عدد كبير من اليونانيين في ذلك (١) . ولاشك ان التسبيع الذي اشتهر به بطليموس هو طابع البابليين قديما فقد تحدثوا عن الكواكب السبعة والايام السبعة وجعلوا التسبيع سمة من سمات الخليقة الالهية .

واشار الاستاذ (فشر) وكذلك (رولنسون) الى اعتماد بطليموس على

مارينوس الصوري وخاصة في تقسيم خطوط الطول والعرض (٢) ، واذا ما علمنا ان مارينوس هذا كان قد استقى معلوماته عن جغرافيي الفينيقيين ، تأيد ما قلناه من اعتماد بطليموس على العرب القدماء •

الفكر الجغرافي قبل الاسلام

لقد تهيأ للعرب في جزيرتهم وهم يضربون الارض ـ منذ القديم ـ بقصد الحرب او السلم او بحثا عن الماء والكلأ ، اسباب التعرف على كثير من المظاهر الطبيعية والمؤثرات الجغرافية من رياح ومطر •• ونبات وحيوان متخذين من النجوم منارا لهم بها يهتدون «وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر »• وقد دعتهم سماؤهم الصافية وارضهم الواسعة وبيئتهم المتقلبة •• الى التأمل والتفكير ، فلا غرابة ان نلمس آثاراً عربية مهمة ذات الصلة بالمسائل الجغرافية قبل الاسلام ، فلم تحل الصحراء على شدة حرها ولا رمالها رغم اتقادها دون التنقل والاتجار ، حيث لعبت هـذه المنطقة ـ منذ القديم ـ دور الوسيط في التبادل التجـاري بين الهند وافريقيا وبلاد ما بين النهرين والامبراطورية الرومانية •

ولئن سادت الجزيرة العربيـة صحار قاحلة وتلال جرداء وعرة ، فان فيها اراض خصبة وافرة ، ومراع جيدة عامرة كما كـانت (نجد) مرتعا للخيول العربية الاصيلة وكانت اليمامة مخزنا للغلال وحسبك اليمن ان سميت بلاد العرب السعيدة(٣) • ويضيف الاستاذ « هل » : ان الحاجة الى بعضهم حتمت على العرب التجارة والانتقال جاعلين من شهورهم أربعة حرما يمنع فيها الغزو والقتال ويسود السلام والامن • واستغل العرب هذه الفترة في التوجه الى الحجاز لاداء واجباتهم الدينية فيها فنشأت على أثرها اسواق تجارية واسعة واشتهر منها : سوق عكاظ وذي المجاز ومكة •

وهكذا تجمعت لدى العرب ـ قبل الاسلام ـ ثروة هامة من تجاربهم

فى البحر والبر على السواء[٤] . اصبحت فيما بعد جزءاً من التراث الجغرافي العربي . على ان الاسلام الذي انطلق من الجزيرة العربية خلق وعيا اصيلا فى النفوس واسس كيانا ثابتا قائما على الحقيقة والمعرفة ، وطور مفاهيم الحياة فانطلق المسلمون بفضله أمة واحدة .. يزرعون الارض خيرا ورحمة وكانوا بحق خير امة اخرجت للناس .

الاسلام يطور الفكر الجغرافى

استمر الفكر الجغرافي يترسم الطريق الى النمو والتطور .. جنبا الى جنب مع الامتداد الاسلامي ، فقد حملت الفتوحات الاسلامية العرب بعيدا عن جزيرتهم مما ساعد على اتساع افقهم الجغرافى نتيجة الملاحظة المباشرة والتجربة الواقعية . ومع استقرار الدولة وتثبيت اركانها فى ارجاء العالم المعروف يومذاك ازداد تنقل التجار واهل العلم والحجاج والساعين وراء الحقيقة والكشف كما سنرى .

ووصل المسلمون فى فتوحاتهم أقصى الارض فوصلوا الصين شرقا والاندلس غربا كما اخضعوا البحار والمحيطات ، واصبح من السهل الميسور التنقل عبر هذه الرقعة الواسعة التى تجمعهم فيها العقيدة السامية واللغة الواحدة التى هى لغة القرآن «العربية» . واشتهروا بالملاحة وصناعة السفن ساعدهم على ذلك ما كان لديهم من تجارب وخبرات سابقة ، وبرز فيهم كبار الملاحين ساعدوا فى اكتشاف كثير من اجزاء العالم المجهول آنذاك ، وليس من شك ان البحار العربى الاول ابن ماجد كان الدليل الاوحد للملاح البرتغالى فاسكودى كاما فى رحلته الى الهند . ويقول الاستاذ «فران» الفرنسى فى ذلك « ان الفضل فى تفوق الملاحة البرتغالية يعود للعرب » وكان العرب اسبق الامم الى اختراع البوصلة كما اثبت ذلك العلامة الفرنسى كوستاف لوبون فى كتابه الحضارة العربية .

وكان للتجار والفاتحين العائدين الى اوطانهم اثر كبير فى تطور الفكر الجغرافى ، فقد كانوا ينابيع غزيرة من القصص والعجائب التى صادفتهم فى فترة تغربهم . كما ان استقرار الدولة وتنظيمها للاقاليم ومركزية الحكم فى العهد الاسلامى لقرون طويلة ، جعل الاهتمام بالرقعة المفتوحة جزء هاما واساسيا من العمل الادارى للدولة كما اصبح أمر العناية بالاقليم من حيث ثروته الزراعية وقدرته على دفع الضرائب امرا مهما أيضا لذا ظهرت الجغرافية السياسية او الادارية والوصفية .

وانتقل المسلمون طلبا للعلم وسعيا وراء الحقيقة .. شجعهم على ذلك الاسلام الذى اخذ يدعو منذ انطلاقته الى العلم والمعرفة .. كما اكد الرسول على ذلك فى موارد كثيرة ..من اجل ذلك انطلق المسلمون ملبين نداء الواجب يقطعون الفيافى والوديان ويجوبون الاقطار والامصار ويمخرون عباب المحيطات والبحار .. حتى اصبح الارتحال فى طلب العلم اشبه بالضرورة اللازمة لاستكمال الدراسة ، ففى طلب العلم رحل الناس من الاندلس الى بخارى ومن بغداد الى قرطبة .

وفى القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو الى التأمل والنظر فى السموات والارض والشمس والقمر ... وتستدعى البحث والتفكير .. « افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت » وخاض المسلمون ، بحرا من المعارف والعلوم يتلمسون الطريق الى شاطىء الحقيقة والواقع .. وكلهم ايمان وثقة ان : من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة «حديث شريف» .

وليس بالامكان فى هذا المكان تفصيل اثر الاسلام فى فرائضه وعقائده ودعوته فى تطور الفكر الجغرافى على اننى اكتفى بالاشارة الى ان الصلاة

والصوم والحج امور ساعدت المسلمين على تطوير افكارهم وتوسيع افقهم الجغرافي ومهدت الطريق لظهور عباقرة افذاذ في الجغرافية زخـــرت المكتبات الاسلامية والعالمية بما دونوه من معاجم ومصنفات وكتب وخرائط ما زال العالم بحاجة اليها .

المصنفات الاولى

ظهرت في القرن الثالث الهجري رسائل يغلب فيها الطابع اللغـــوي على الطابع الجغرافي اشهرها كتاب « مياه وجبال بلاد العرب» و «اسماء جبال تهامة ومكانها » ادت الى ظهور الادب الجغرافي العربي ثم ظهرت كتـــب المسالك والممالك وكتب البلدان .. وغيرهما .. كانت شبه دليل او بيـان للطرق والمسافات ، وبرع في ذلك «ابن خرداذبه» الذي كان يتقلد شؤون البريد والاخبار في منطقة الجبال في اواسط القرن التاسع الميـــلادي ، واليعقوبي صاحب كتاب «البلدان» اكد فيه على المظاهر الطبوغرافيـــة والاقتصادية كما وضع ابن رسته وقدامه بن جعفر كتبا على هذا الغرار .

على ان الفكر الجغرافي بلغ ذروته ابّان القرن الرابع الهجري حيث زخر باعاظم الجغرافيين العرب الذين جابوا اطراف العالم الاسلامي وصنفوا في ذلك كتبا بلغت شهرتها الافاق وفي مقدمتهم ابن حوقل والمسـعودي والمقدسي .

ويبدو من كتابات الجغرافيين العرب ان معظمها دونت عن طريـــق الملاحظة والمشاهدة او السماع والرواية . فاليعقوبي الذي يعتبر اول جغرافي وصف الممالك معتمدا على ملاحظاته الخاصة يقول : (٥) « سافرت حديث السن واتصلت اسفاري ودام تغربي .. وكنت متى رأيت رجلا سألته عن بلده ومصره وزرعه وعن ساكنيه .. ثم اثبت كل ما يخبرني به من اثق بصدقه واستظهره بمسألة قوم بعد قوم حتى سألت خلقا كثيرا وعالما مـــن الناس» .

اما ابن حوقل «النصف الاول من القرن العاشر» فقد كان كثير السفر ودامت اسفاره اكثر من ربع قرن زار خلالها ديار الاسلام من الهند الى اسبانيا فجاء كتابه «صورة الارض» صورة جامعة لتجاربه واختباراته عن تلك الاقطار يقول فيه : «واعانني على تأليفه تواصل السفر وانزعاجي عن وطني الى ان سلفت وجه الارض باجمعه في طولها وقطعت وتر الشمس على وترها » .

والمقدسي الذي يرى فيه العلامة «كريمرس» اكثر الجغرافيين العرب اصالة ، يبالغ فيه العلامة «اشبرنجر» فيعتبره اكبر جغرافي عرفته البشرية قاطبة على انه يستدرك قوله « ولاعني بذلك ان كتابه في الجغرافية يفوق المؤلفات الحديثة في هذا الفن اذ يعوزه من اجل ذلك تجربة الاجيال التالية، ولكن من المحتمل انه لم يسبقه شخص في اتساع مجاري اسفاره وعمق ملاحظاته واخضاعه المادة التي جمعها بصياغة منظمة .».

وقد قويت في هذه الفترة روح الاستطلاع العلمي واخذت اصابعها تمتد متلمسة الحقائق في كل ناحية وكان الناس يصغون متشوقين لما يقصه البحارة والتجار عليهم من اخبار . فمما قاله المسعودي في كتابه مروج الذهب(٦) : « وقد ركبت عددا من البحار كبحر الصين والروم وبحر القلزم واليمن فلم اجد اهول من بحر الزنج» . وكانت مراكب المسلمين تصل حتى اقليم سفاله «موزمبيق» كما اشتهرت عدن بكونها مركزا تجاريا كبيرا بين افريقية وبلاد العرب كما كانت نقطة ارتكاز بين تجارة الهند والصين ومصر(٧) . واشتهرت خانقو « كانتون » بكونها مركزا تجاريا هاما في الشرق الاقصى وشكلت فيها جالية اسلامية كبيرة يعين الامبراطور الصيني رئيسا مسلما لها . ويذكر المسعودي « ان بلاد كله هي النصف من طريق الهند ، واليها تنتهي مراكب أهل الاسلام وفيها كان التاجر السمرقندي ينزل من المراكب الآتية من عمان ويركب البحر في

مراكب الصين الى خانقو » •

وقد دهش ابن حوقل من مهارة الملاحين الذين رآهم فى مصر السفلى. كما يذكر اليعقوبي ان ميناء طرابلس الشام عجيب ويحتمل الف مركب. وكانت مدينة صور مصنعا للسفن ومخرجا للمراكب البحرية لغزو الروم. اما عن تونس فيقول بأنها تلي طرابلس فى الاهمية • ويظهر من كتابات الادريسي ، ان العرب اوغلوا فى بحر الظلمات « الاطلسي » ويورد نوادر مدهشة عن مغامراتهم البحرية من لشبونة فى ذلك المحيط ، والاصطخري يروي صعوبة الملاحة فى البحر الاحمر ليلا فيقول بأن الملاحة فيه كانت نهارا اما فى الليل فلا يسلك • كما اشتهرت « عيذاب » ـ نقطة الاتصال بين تجارة البحر الاحمر ونهر النيل ـ بالتجارة فكانت ترد اليها البضائع من الحبشة واليمن وزنجبار بحرا ثم تحمل على الابل فى الصحراء مسيرة عشرين يوما الى أسوان فالقاهرة عن طريق النيل (٨) •

اما ابن فضلان (سنة ٩٢١م) فقد كتب بيانا عن روسيا يعتبر أقدم بيان فى هذا الباب حيث وصلها على رأس بعثة ارسلها الخليفة الواثق الى سد يأجوج ومأجوج فكتب الكثير عن البلغار واهلها وطبيعة ارضها ، كما يحدثنا ابو دلف عن رحلته الى بلاد آسيا الوسطى والشرقية حوالي سنة ٣٣٣ هـ ـ ٩٤٤ م • وسبق ان بينا معرفة العرب لنهر النيل حيث اكتشفوا منابعه وانحدروا جنوبا حتى بلغوا الناتال ، كما توسعت تجارتهم مع الشمال فوصلوا أقطار اوربا الوسطى والشمالية وتركوا فيها اثارا واضحة للتجارة مع تلك البلدان ، فقد كشفت احافير شتى على شواطىء البلطق وشمال اوربا ترجع الى القرون الوسطى بينها نقود اسلامية تدل على الصلة التجارية بين المسلمين وهذه الاقطار ، واشار المسعودي الى تجارة المسلمين مع القبائل السلافية فى مناطق البربيت « أحد فروع الدنيبر » (٩) •

وهكذا فقد دخلت الجغرافية هذه البلدان لا عن طريق المشاهدة والعيان فحسب بل بالمعاملة والمتاجرة كذلك • هذا وقد كان التجار يزودون أهل امصارهم اخبارا عن بلاد الالمان وبلاد الفرنسيين •

الفكر الجغرافي الاندلسي

وبرز في الاندلس كذلك جغرافيون عظام زخرت بهم المكتبات العالمية بما قدموه من جهود وتراث خالد • فالبكري : « عبيد الله » كان بحق أبرع الجغرافيين وراسمي الخرائط في القرن الثاني عشر بل في كل العصور الوسطى • والشريف الادريسي سنة ١١٦٠ م صاحب كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » والمشهور بخارطته المعروفة باسمه وبالكرة الفضية التي تمثل الكرة الارضية والتي قدمها ـ جميعا ـ للملك روجر الثاني ملك صقلية •

كما اشتهرت بالرحالة العربي « ابن جبير » سنة ١١٤٥ م حيث امتاز برحلاته المتعددة لاقطار العالم الاسلامي واشتهر بكتابه المسمى ب « رحلة ابن جبير » دوّن فيه مشاهداته وتجاربه في رحلته الاولى وقد توفي غريبا في الاسكندرية سنة ١٢١٧ م • وكتب ابو حامد الغرناطي عن تجارة البلغار في اراضي الفولكا وكان قد زار روسيا سنة ١١٣٦م • على ان القرن الرابع عشر الميلادي اشتهر بالرحالة العربي الكبير « ابن بطوطة المراكشي » الذي حج البيت الحرام اربع مرات تسنى له خلالها زيارة جميع بلدان العالم الاسلامي وبلغ به السفر جزيرة سرنديب « سيلان » والبنغال وحتى الصين(١٠) كما زار القسطنطينية وتوغل جنوبا الى أواسط افريقية ودون كل ذلك في سفره الجليل «رحلة ابن بطوطة» •

العرب في المحيط الاطلسي

لم يقر للعرب قرار دون الكشف عن غوامض ذلك العالم المجهول فقد أشارت الادلة اللغوية والتاريخية وكذلك ما وجد من معادن مخلوطة

بنفس النسبة التي عند العرب ، **على وصول العرب الى العالم الجديد** قبل كولومبس • واشهر من قال بذلك الاب انستاس الكرملي مشيرا الى تيار الخليج الدافىء الذى سلكوه فكانوا يركبونه ـ كما يقول ـ من موطن الى موطن بحيث كانوا يدهشون سكان جزر المانش وارلندة ويعودون راكبين متن التيار نفسه ، وقد استدل على ذلك بما وجد من كلمات (لنباتات وحيوانات) عربية [11] •

ويؤكد ذلك المؤرخ الكبير « كراتشوفسكي » فى كتابه تاريخ الادب الجغرافى العربي فيقول بانهم استفادوا بمعرفتهم لتيار الخليج الدافىء حيث ركبوه من اسبانيا الى امريكا عائدين من نفس الطريق •

ويكفي العرب فخرا ـ ان لم يكن قد وصلوا الى العالم الجديد قطعا ـ انهم مهدوا السبيل لكولومبس فى رحلته الى العالم الجديد فقد تلقى الاخير من الخرائط العربية والآراء النظرية صورة عن الارض كما كانت آراء البيرونى فى علمى الفلك والجغرافية شائعة بين الاوربيين فى عصره وعلى تلك الحقائق اعتمد كولومبس فى رحلته الخالدة الى العالم الجديد فاقتحم بحر الظلمات • ويؤيد ذلك الدكتور فيليب حتى كذلك[12] •

فممن كتب فى كروية الارض ابن خرداذبة قائلا[13] : (ان الارض مدورة كتدوير الكرة موضوعة فى جوف الفلك كالمحة فى جوف البيضة) وكذلك ابن رستة : « ان الله عزوجل وضع الفلك مستديرا كاستدارة الكرة أجوف دوارا والارض مستديرة ايضا كالكرة فى جوف الفلك» • ويؤكد المسعودى هذه الحقيقة قائلا [14] : « ان الشمس اذا غابت على هذه الجزائر ـ الاوقيانوس ـ كان طلوعها فى أقصى الصين وذلك نصف الارض » • وهكذا فشيوع العلم باستدارة الارض ـ بفضل تداوله فى الكتب العربية ـ هو الخطوة الاولى التي سبقت الى ذهن

كولومبس ، هذا وقد عاد كولومبس من العالم الجديد بذهب مخلوط بالنحاس على النحو الذى يخلط به أهل غانة وبالنسبة التي يلاحظونها فى هذا الخليط ، كما ان لغات الهنود الحمر تشمل كلمات أوربية واقدم منها الكلمات العربية التي تتخللها مع بعض التحريف(١٥) .

على أن فضل العرب القائم على الحقائق الجغرافية يغنيهم عن كل فضل قائم على الظنون ، وليس للجغرافية ـ بعد هذا ـ من عماد تقوم عليه غير السياحة والاستقراء والارصاد الفلكية وفى كل ذلك فضل للعرب ثابت لا يمكن انكاره ـ كما ظهر ـ ونختم بحثنا هذا بمقالة المؤرخ الفرنسى العلامة كوستاف لوبون « ويكفي أن نشير فى ذلك الى ما حققه العرب فى الجغرافية لاثبات قيمتهم العالية . فالعرب هم أول الذين عينوا بمعارفهم الفلكية مواقع الاماكن تعيينا مضبوطا فى الخرائط وصححوا بذلك اخطاء علماء اليونان ، والعرب هم الذين نشروا رحلاتهم الممتعة عن بقاع العالم التي كان يشك الاوربيون في وجودها ، والعرب هم الذين وضعوا الكتب الجغرافية التي جاءت ناسخة لما تقدمها ، فاقتصرت عليها امم الغرب وحدها قرونا كثيرة » .

---

(١) العقاد . اثر العرب فى الحضارة الاوربية . ص ٤٨

(٢) الدكتور ابراهيم شوكت : مجلة الاستاذ . ص ٨ سنة ١٩٦١ ـ ١٣٨٠ .

(٣) الاستاذ (ى . هل) الحضارة العربية . ص ٧

(٤) زيادة . نيقولا زيادة الجغرافية والرحلات عند العرب .

(٥) اليعقوبى . البلدان . ص ٣ مطبعة النجف سنة ١٩٥٧ .

(٦) ج ١ . ص ٢٤٣ .

(٧) متز . ادم متز . الحضارة العربية فى القرن الرابع الهجرى. ص ٤٢٧ .

(٨) متز · ادم متز · الحضارة العربية فى القرن الرابع الهجرى ص ٤٢٧ ·

(٩) حتى · فيليب حتى · تاريخ العرب · ج٢ ص ٤٦٨ ·

(١٠) فيليب حتى · تاريخ العرب ج ٢ ص ٦٧٥ ·

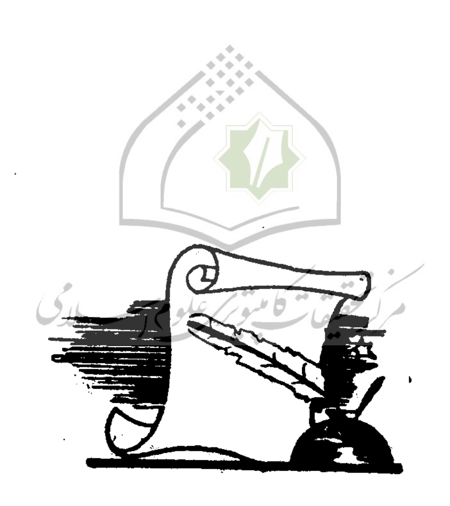
(١١) العقاد · أثر العرب فى الحضارة الاوربية · ص ٥٢

(١٢) حتى · ص ٦٧٧ ج ٢ ·

(١٣) المسالك والممالك ·ص ٣ مطبعة ليدن ·

(١٤) المسعودى ·· مروج الذهب · ج ١ ص ٧١ مطبعة القاهرة سنة ١٩٣٨ ·

(١٥) نفس المصدر ص ٥٧ ·



اجتهاد الرسول «ص»

للاستاذ توفيق الفكيكي

(٣) التتمة

أما حديث : «انما اقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل عليّ فيه» فقد انكره المنكرون وادعوا بأنه حديث موضوع ، لانه (ص) ترك الحكم فيما لم ينزل عليه فيه شيء وانتظاره الوحي في كل ذلك ، ويكفى فى ذلك قوله تعالى آمرا له أن يقول : « ان اتبع الا ما يوحى اليّ » الى قوله تعالى : «وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » فلو انه عليه السلام شرع شيئا لم يوح اليه به لكان مبدلا للدين من تلقاء نفسه ، والله تعالى يأمره ان يقول : « قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي» فلا يتفق هذا الامر الالهى والحديث الذي استند عليه المجوزون فى هذا الباب . ثم قالوا ان هذا الحديث من اخبار الاحاد التي لاتفيد اليقين ولم يروه الا اسامة بن زيد وهو ضعيف .

وقد برع المنكرون في تحقيق معنى الحديث : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي» حيث قالوا ان معناه : لو علمت سابقا ما علمت الآن من الحرج الذى فى السوق لما سقت ، ثم هذا لا يكون حجة ، فأن هذا الحديث وقع فى حجة الوداع حين أمر القوم بالتحلل عن احرام الحج بالعمرة ولم يتحلل هو نفسه (ص) لما ساق الهدى ، فتحرجوا عن التحلل وأرادوا أن يهدوا بهدى رسول الله (ص) علما منهم لما فيما فعل من الامر ، فقال ان سوق الهدي مانع لي من التحلل قبل ان يبلغ محله ولو علمت بأنهم

لايستطيبون الا بالاتباع فى فعلي لما سقت الهدى وتحللت ، وهذا لا يدل على ان السوق كان عن رأي وظهر الآن خلافه ، بل كان حكمه معلوما من الندب وكان اختياره هو (ص) أمرا مندوبا ثم قال تطيبيا : لو علمت كذا لتركت هذا المندوب ، وقد اتفقوا مع المنكرين فى تحقيق هذا الحديث على هذا المعنى بعض المجوزين ، وفي مقدمتهم صاحب كتاب ـ فواتح الرحموت ـ ص٣٦٧ .

اما حديث التلقيح فقد مر كلام المنكرين عليه ، وزاد ابن حزم الاندلسى عليه بقوله : فهذا بيان جلي مع صحة سنده فى الفرق بين الرأي فى أمر الدنيا والدين وانه عليه السلام لايقول فى الدين الا من عند الله تعالى ، وان سائر ما يقول فيه برأيه ممكن فيه ان يشار عليه بغيره فيأخذ عليه السلام به ، لان كل ذلك مباح مطلق له ، واننا أبصر منه بامور الدنيا التى لاخير معها الا فى الاقل ، وهو أعلم منا بأمر الله تعالى وبأمر الدين المؤدى الى الخير الحقيقى ، وقد نهى (ص) عن القول بالرأى فى الدين فى قوله (ص) : « فاتخذ الناس رؤوسا جهالا فأفتوا بالرأى فضلوا وأضلوا » وقد ردّ المنكرون على ما روى المجوزون فى قوله (ص) للخثعمية : «أرأيت لو كان على أبيك دين كنت تقضيه؟» قالت : نعم ! فدين الله أحق وأولى أن يقضى ، وبقوله لعمر بن الخطاب حين سأله عن القبله للصائم : « أرأيت لو تمضمضت بماء اكنت شاربه؟» وقوله فى حديث أبي هريرة حين سأله السائل عن رجل ولد له غلام أسود فقال له :« ألك ابل ؟» قال : نعم ! قال : (ما ألوانها؟) قال حمر : قال ـص ـ : «هل فيها أورق؟» قال : نعم ، قال ـص ـ : « انى ترى ذلك أتاه ؟ » قال : لعل عرقا نزعه . الى غير ذلك من أمثال هذه الاحاديث التى استدل بها المجوزون على اجتهاد الرسول (ص) وعمله بالقياس وتعبده به ، فقال المنكرون : انها اخبار آحاد لاتوجب علما وما هذا حكمه لايثبت به أصل معلوم عندهم مقطوع على صحته فلا يجوز اثباته بما يوجب غلبة الظن،على أن تنبيهه ـص ـ على علة الحكم ليس باكثر من أن ينص صريحا عليها ، ولو نص على العلة

لم يجب القياس بهذا القدر دون ان يدل على العبارة به بغيره ، على انه -ص- بتنبيهه قد أغنى عن القياس فكيف يجعل ذلك دليلا على القياس ولانه أيضا مع التنبيه على العلة قد اثبت الحكم فى الفرع والاصل معا ، وما هذا حاله لايدخل فى القياس فيه وقد أراد -ص- تقريب القول للفهم بالطريقة الاستقرآئية ليس غير ، ولم تدل مفاهيم كلامه الشريف على المقاييس الشرعية •

وقد علق أئمة اهل الظاهر على الاحاديث المتقدمة بقولهم : انها من أقوى الحجج على ابطال القياس ، وذلك لان الرجل جعل خلاف ولده في شبه اللون علة لنفيه عن نفسه فأبطل رسول الله -ص- حكم الشبه وأخبره ان الابل الورق قد تلد الابل الحمر فأبطل عليه السلام ان تساوى المتشابهات فى الحكم ، ومن المحال الممتنع ان يكون من له مسكة عقل يقيس ولادات النساء على ولادات الابل ، والقياس عندهم انما هو رد فعل الى أصله وتشبيه ما لم ينص بمنصوص ، وبالضرورة نعلم انه ليس الابل أولى بالولادة من الناس ولا الناس باولى من الابل ، وان كلا النوعين فى الايلاد والالقاح سواء فأين هو مجال القياس ، ؟ وهل من قال : ان توالد الناس مقيس على توالد الابل الا بمنزلة من قال : ان صلاة المغرب انما وجبت فرضا لانها قيست على صلاة الظهر ، او ان الزكاة انما وجبت قياسا على الصلاة !؟

هذا مع ان بعضهم لايأخذ بهذا الحديث فيما ورد فيه،ويرى في التعريض الحد وهو يسمع فيه ان الاعرابى كان يعرض بنفى ولده فلم يزده الرسول -ص- على ان أراد بطلان ظنه ووجوب الحكم بظاهر المولد والفراش ولم يرد عليه احد ، أفيكون أعجب ممن يترك الحديث فيما ورد فيه ويطلب فيه ما لايجده ابدا •

* * *

أما حديث المضمضة فان عمر بن الخطاب قال هششت الى الامـرأة فقبلتها وأنا صائم ، فأتيت الرسول ـص ـ فقلت يارسول الله أتيت امـرا عظيما ، قبلت وانا صائم فقال رسول الله ـص ـ : « أرأيت لو تمضمضت بماء وانت صائم ؟» قلت لا بأس قال : ففيم ؟! .

ولو لم يكن فى ابطال القياس الا هذا الحديث لكفى ، لان عمر ظن أن القبلة تفطر الصائم قياسا على الجماع ، فأخبره عليه السلام ان الاشـباه المتماثلة والمتقاربة لاتستوى احكامها ، وان المضمضة لاتفطر ، ولو تجاوز الماء الحلق عمدا لافطر ، وان الجماع يفطر والقبلة لاتفطر وهذا هـو ابطـال القياس حقا . ولاشبه بين القبلة والمضمضة . ثم ان الحديث عائد عـلى المالكيين لانهم يستحبون المضمضة للصائم فى الوضوء ويكرهون له القبلة ، فقد فرقوا باقرارهم بين ما زعموا أنه عليه السلام سوّى بينهما وفـى هذا ما فيه فبطل تمسكهم بهذا الحديث .

واما خبر معاذ فلا يمكن الاحتجاج به لسقوطه وذلك لانه لم يروه قط الا من طريق الحارث بن عمرو وهـو مجهول لايدرى أحـد من هو؟ وقال البخارى : ولا يعرف الحارث الا بهذا ولايصح ، وقد نقل خبر معاذ رجال من أهل حمص لايدرى من هم ، ثم لم يعرف قط فى عصر الصحابة ولا ذكره أحد منهم ، ثم لم يعرفه احد قط فى عصر التابعين حتى أخذه ابو عون وحده عمن لايدرى من هو ، فلما وجده اصحاب الرأى عند شعبة طاروا به كل مطار واشاعوه فى الدنيا وهو باطل لا أصل له .

وخبر معاذ هو : قال ابو عون لما بعث رسول الله ـص ـ معاذا الى اليمن قال : (يا معاذ بم تقضي ؟) قال أقضى بما فى كتاب الله قال : « فان جـاءك أمر ليس فى كتاب الله؟» قال : أقضى بما قضى به نبيه ـص ـ قال : فـان

جاءك أمر ليس في كتاب الله ولم يقض به نبيه ـص ؟ قال : « أقضي بما قضى به الصالحون قال : « فان جاءك امر ليس في كتاب الله ولم يقض به نبيه ـص ولاقضى به الصالحون » قال : اؤم الحق جهدى ، فقال رسول الله ـص : الحمد لله الذى جعل فى اصحاب رسوله من يقضى بما يرضى رسول الله فلم يذكر معاذ اجتهد رأيي أصلا وقوله : اؤم الحق جهدي هو طلبه للحق حتى يجده حيث لا توجد الشريعة الا منه وهو القرآن وسنن الرسول (ص) وقال سفيان بن عينية : اجتهاد الرأى هو مشورة أهل العلم لا ان يقول برأيه .

وبرهان بطلان خبر معاذ هو ان من الممتنع ان يقول رسول الله ـص فان لم تجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله وهو يسمع قول ربه « اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم »وقوله تعالى : «اليوم اكملت لكم دينكم» وقوله تعالى: «ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه» وقوله ـص : «فأتخذ الناس رؤوسا جهالا فأفتوا بالرأى فضلوا واضلوا » ثم لو صح لكان معنى قوله : أجتهد رأيي،انما معناه استنفد جهدي حتى ارى الحق فى القرآن والسنة ولا ازال اطلب ذلك أبدا ، ومما يعضد هذا قوله ـص : « من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده فى النار » وقال ـص : «تعمل هذه الامة برهة بكتاب الله وبرهة بسنة رسول الله ـص ثم يعملون بالرأى فاذا فعلوا ذلك فقد ضلوا» وقال عمر بن الخطاب : « السنة ما سنه الله تعالى ورسوله ـص لاتجعلوا خطأ الرأى سنة للامة ».

وعلى هذا فان الاجتهاد قد يخطىء لانه يفيد الظن والوحى يفيد القطع، هذا ولما كان الخطأ من الرسول ـص محال لان الله تعالى عصمه من ان يقر على رأيه الخطأ وانه قادر على الدليل القطعى بالوحى فيحرم عليه الرجوع الى الظن واتباعه بالاجماع ، لانه يلزم اجتماع النقيضين وعليه فان خير ما يقال فى هذا الباب هو انه ليس يجب ان يكون اجتهاده ـص استنباطا من

النصوص كما يظن بل علمه الله تعالى مقاصد الشرع وقانـون التشـريع والتيسير والاحكام فبين مقاصد الرسالة المتلقاة بالوحى بذلك القانون •

وبهذا يندفع قول المجوزين القائلين بوجوب اجتهاد الرسول فـى الأحكام الشرعية لان العمل بالاجتهاد أشق من العمل بالنص لانه يحتاج الى اتعاب النفس فى بذل الوسع فيكون اكثر ثوابا والا لفاته ثواب المجتهديـن ولكانت امته أفضل منه فى هذا الباب •

ورد المنكرون ان ثواب اداء وتبليغ الرسالة المحمدية العامة اعظم بكثير من ثواب المجتهدين ، وانه ـص ـ فى غنى عن ثواب المجتهدين بعد ثـواب الرسالة ، وهل يوجد اجتهاد لمجتهد ويثاب عليه دون ان يقتبس من قبس الرسالة او يستنير بنور صاحب الشريعة ـص ـ ، فكيف يجوز القول والعياذ بالله بأن ثواب المجتهد يفضل ثواب الرسالة وبعدم اجتهاده ـص ـ تكـون أمته أفضل منه وهذا لا يقول به ذو عقل سليم البتة •





ابتهالات

تقاسيم..

للشاعر عبد الهادي الوراق

أُمنِيَةٌ والقمرُ والافق المنورُ
ونجمة تشرب من عيونها فتزهر
وجنة حالمة وربوة تستعر
و«البرعم» الاسود اذ يلتم او ينتشر
عوالم تغرق في ثرائهن الاعصر
أروع ما صاغت يد وما ابتنى مصور

* * *

بحيرة الشوق التي ضجيجها لايفتر
الله في ضفافها معتكف والبشر
والشمس حين تختفي والشمس حين تظهر
وما يبث الليل من كواكب ويستر
وآية مسحورة بكل شيىء تزخر
أنبل من كل الرؤى معانيا واشعر

* * *

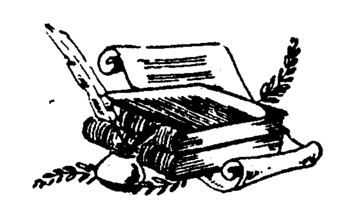
..ويا جفونا سحرها شواطيء وابحر
أنا هنا حيث اغتلى الشوق وحم المطر
جرائق يهيجها وقع الصدى فتزأر

آه لو استجاب للحالم صبح أخضر
فأورقت جوانب القفر وأثرى الحجر
ورف فى كل يد مرج وغنى بيدر
فلا خوت معاهد ولا استبد القدر

★ ★ ★

أ"منية" والقمر وجفنها المعطر
وسحر عينيها الثري الزاخر المنهمر
يحفر فى القلب مدى ابعاده لاتسبر
عامان مرا والربيع مورق ومثمر
ولم يزل لخطوها فى كل درب اثر
فلا اللهيب صامت ولا الحنين مضمر
ولا الفؤاد يائس من غده فمقصر





نظم العقدين في مدح سيد الكونين

لابن جابر الهواري الأندلسي

للدكتور محسن جمال الدين

تضم رفوف الخزائن الخاصة والعامة في العراق بعض الروائع النادرة من المخطوطات النفيسة باللغة العربية . منها ما يختص بالدراسات الفقهية واللغوية ، ومنها بالدراسات الادبية والشعرية . والكثير من هذه الاثار لعلماء وادباء وشعراء مشارقة . وقلة منهم من الاندلسين المعروفين او المغمورين المنسيين .

ولقد ضمت (مكتبة الاوقاف العامة) في بغداد نسختين من ديوان شاعر أندلسي كانت له مكانة محترمة في عصره ، ورئاسة علمية مقدّرة في زمنه . هو (ابن جابر الاعمى) المتوفى سنة ٧٨٠ هـ - ١٣٧٨م .

هذا واغنانا المرحوم الدكتور محمد اسعد طلس في كتابه الجليل (الكشاف - عن مخطوطات خزائن الاوقاف)[١] والاخ عبدالله الجبوري في كتابه (المستدرك على الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الاوقاف)[٢] عن وصف نسختى هذا الديوان النفيس . كما سبقهما بروكلمن في كتابه تاريخ الادب العربي في ترجمة الشاعر وآثاره[٣] .

أما مؤلف الديوان فهو شاعر طريف ، وعالم بالعربية والنحو . اسمه

(محمد بن احمد بن جابر .. بن قاسم بن احمد القيسي الهواري المالكي (شمس الدين)ابو عبدالله مرة يسمى (بالوادي آش) [٤] نسبة الى (وادي آش) واخرى (بالمري) نسبة الى (المرية) [٥] .

والارجح كما اشارت أغلب المصادر عنه بانه من مدينة (المرية) . وذكر هو نفسه نسبته فقال في كتابه (حلية الفصيح في نظم الفصيح) لكتاب (ثعلب) قوله [٦] .

ناظمه يرجو من الله غدا	ثوابه محمد بن أحمدا
ابن علي عرف ابن جابر	فكن له اللهم خير جابر
وهو في نسبته الهواري	المالكي المغربي الدار
لكنه في مغرب ممن غدا	أندلسيا منشأ ومولدا
مثواه في بلدانها المرية	لكنه انأته عنها الرحلة
ياحبذا من بلدة وموضع	ياليت شعري هل لها من مرجع [٧]

* * *

تلقى (الهواري)دراسته على يد نخبة مختارة من علماء الاندلس الذين عاصروه منهم (أبو الحسن) على بن محمد بن ابي العيش ، وابو عبدالله محمد بن سعيد الرندي ، وابو عبدالله محمد الزواوي [٨] . واتصل بعدة من علماء المشرق الذين اتصل بهم وراسلهم وطلب اجازتهم العلمية ومنهم (الصلاح الصفدي) صاحب كتاب (نكت الهيمان في نكت العميان) حيث افرد له ترجمة طريفة [٩] وقد بعث للصلاح الصفدي قصيدة جاء منها [١٠] :ـ

ان البراعة لفظ أنت معناه	وكل شيء بديع أنت مغناه
انشاد نظمك اشهى عند سامعه	من نظم غيرك لو اسحق غناه
تحجب الشعر عن قوم وقد جهدوا	وعندما جئته أبدى محياه

أتيت منه بمثل الروض مبتسما فلو تكلم زهر الروض حيَّاه

ومنها :ـ

تلك الذخائر أولى ما نسير بها للغرب مغربة فيما سمعناه

كذا الكواكب شرف الارض مغربها وكلها أبدا للغرب مسراه

إن (ابن جابر) ان تسأله معرفة (محمد) عند من نادى فسماه

فكتب له (الصفدى) اجازة صدرها بقوله :

يافاضلا كرمت فينا سجاياه وخصنا باللآلي فى هداياه

خصصتني بقريض شف جوهره لما تألق منه نور معناه

فى كل بيت مبانيه مشيدة كم من خبايا معان فى زواياه

ومنها :ـ

وغير مستنكر من أهل (اندلس) لطف اذا هب من روض عرفناه

هم فوارس ميدان البلاغة في يوم الفصاحة ان خطوا وان فاهوا

ايه تفضلت بالنظم البديع فما أعلاه عندى من عقد واغلاه

أقسمت لو سمعته اذن ذي حزن في الدهر الزمه البشرى والهاه

* * *

زار الشاعر المغرب الشمالى ، ودخل مصر ، وتجول فى الاماكن المقدسة ، ودخل الشام ، وذهب الى حلب سنة ٧٤٣ هـ ـ ١٣٤٢ م وسكن البيره قرب سميساط وتزوج هناك ومات [١١] كما زار العراق فى مناطقه الشمالية.واتصل بالدولة (الارتقية) وعاصر من الشخصيات المعروفة (ابن بطوطة) و (صفى الدين الحلي) . واشار عنه الرحالة ابن بطوطة فى رحلته [١٢] فقال في حديثه عن سلطان (ماردين) الملك الصالح ابن الملك المنصور :«له المكارم الشهيرة وليس بارض العراق والشام ومصر اكرم منه ، يقصده الشعراء والفقراء فيجزل لهم العطايا جريا على سنن ابيه قصده ابو

عبدالله محمد بن جابر الاندلسي المري الكفيف مادحا فأعطاه عشرين ألف درهــم • »

أما اشهر تلامذة ابن جابر الاعمى • فكان (لسان الدين ابن الخطيب) حيث اثنى عليه وذكره في (الاحاطة) • وقال عنه (الراوية المحدث المكثـر الرحال)[١٣] ، رافق (الهواري) في سفره الطويل ، وفي حله وتر حاله رفيقه الاديب النحوي المبصر (احمــد بن يوسف الغرناطـي الرعيني (ابو جعفر) المتوفى (٧٧٩هـ ـ ١٣٧٨م) وتلقبـا (بالاعمى ـ والبصير) تركا الاندلس عام (٧٣٨ هـ ـ ١٣٣٧ م) ذكره صاحب (بغيـة الوعـاة) فقال : [١٤] « كان عارفا بالنحو وفنون اللسان مقتدرا على النظم والنثر دينا حسن الخلق كثير التواليف في العربية وغيرها • شرح بديعته رفيقه ومن شــعره :ــ

لا تعـاد النـاس في اوطــانهم قلمــا يرعـى غـريب الوطـن
واذا ما عشــت عيشــا بينهــم خـالق النــاس بخلق حســن

اما صاحب (نفح الطيب) • فقد ترجمه واثبت ابياتا متعــددة مــن أشعار صاحبه واشعاره ، ومن نثره الجميل قوله من رسالة [١٥] « وافى كتابك فوجدناه ازهى من الازهار ، وابهى من حسن الحباب على الانهار ، يشرق اشراق نجوم السماء ، ويسمو الى الاسماع سمو حباب المــاء ••» ومن شعره قوله وقد دخل (حمص) التي يمر فيها (نهر العاصي) بسورية فأنشد قائلا [١٦] :ــ

(حمص) لمن اضحى بهــا جنــة يدنــو لديها الآمــل القــاصي
حـل بهــا (العاصي) ألا فاعجبوا من جنــة حــل بهــا العاصـي

★ ★ ★

ان صداقة هذين الاديبين الشاعرين ـ حل رباطها زواج الاول ، وعزوبة الثاني • وامتازا بالوفاء والاخلاص ، والمحبة ، والسعي وراء العلم والثقافة •

لم يتركا موطنا من مواطن المعرفة الا قصداه • وتركا آثارا ادبية ولغويـة نافعة • منها ما أصابها الضياع والنسيان ومنها ما طبع ونشر • غير ان شهرة (الاعمى) طغت على شهرة (المبصر) !!! وكان الاول يملي والثاني يكتب • وعندما مات الاديب (الرعيني) رثاه (ابن جابر) وتوجع لفقده •

★ ★ ★

ان عصر (ابن جابر الاندلسي) كان عصرا مشابها باحداثه السياسية والاجتماعية ـ في الاندلس والمشرق • وفي البلاد العربية خاصة •

فالفردوس الضائع ـ تناثرت لآلى عقده من ضربات الاسـبان ، ومن تخاذل ابنائه وملوكه وسلاطينه • والمدن الاندلسية تتهاوى كعمارات شاهقة أصابها الزلزال ، واطاحت بها المعاول !! فارتحل أبناء الاندلس الى المغـرب والمشرق يطوون في جوانحهم الحسرة ، ويلتفعون بالالم • وكانوا يجعلون الاماكن المقدسة (مكة ـ والمدينة ـ والقدس) قصدهـم ، للحج والزيارة والتبرك وطلب العلم • يشكون ، ويبكون ، ويتناجون ، ويطلبون البركـة والرحمـة من صاحب البيت الكريم والقبر الشـريف • في ان يخفف مصائبهم ، ويكفر عن سيئاتهم • وينقذ بلادهم من ويلات حروب الاسبـان وفي (نفح الطيب) ، و (أزهار الرياض) للمقرى ، الصور النثرية المحزنـة والشعرية الدامية !! عن مأساة الاندلس !!

أما في البلدان العربية ، والعراق خاصة • فكانت عيون الغرب قـد استيقظت على كنوز الشرق • والدول الاسلامية المتعددة أصاب سلطانهـا الخور ، واحاطت بها المصائب • ووضع العراق السياسي والاجتماعي في حالة لا يحسد عليها • من فتن ، واضطرابات • بعد ان تقوض مجد العباسـيين ، وزال ملكهم الشاسع •[17] وفي مثل هذه الحالة القلقة المضطربة • عاش الاديب الشاعر • فانصرف عن تصوير ما حل ببلاده وديار أهله الى الامداح والاذكار والدعوات • وكانت قصائده شأن اغلب معاصريه تنحو نحو الصناعة

اللفظية ، والاهتمام بالصور البديعية • وفى اشعاره واشعار (الصفي الحلي) ما يدل على هذا الطابع ! ؟

وفى الدراسة القادمة نعرض لديوان الشاعر وما فيه من قصائد فريدة ، ومن اختراعات طريفة • وما ترك لنا من آثار مطبوعة ومخطوطة •

---

(١) مطبوع ببغداد سنة ١٩٥٩

(٢) مطبوع ببغداد سنة ١٩٦٥ •

(٣) راجع بروكلمن ج/٢ص/١٤ •

(٤) (وادى آش) تسمى اليوم بالاسبانية (Guadix) وصفها (الروض المعطار) بانها مدينة اندلسية قريبة من (غرناطة) اشتهرت بطبقة من العلماء والشعراء • وبزراعة الثمار والتوت والزيتون • كما وصفها من المعاصرين الاستاذ محمد عبدالله عنان فى كتاب الاثار الاندلسية الباقية ط/١٩٥٦/١ ص/١٨٣ •

(٥) المرية ـ وتسمى اليوم بالاسبانية Almeria مدينة ساحلية ملكها بنو (صمادح) ، ذات صناعات متعددة • اشتهرت بصناعة الحرير ، وخرج منها جلة من العلماء الكبار • وابلغهم الشاعر ـ ابو جعفر ابن خاتمة الانصارى ـ • راجع /المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد ، والروض المعطار ، والاثار الاندلسية الباقية •

(٦) (حلية الفصيح) منظومة فى الف وستماية وثمانين بيتا ـ ١٦٨٠ ـ انشأها فى البيرة قرب حلب سنة ٧٤٧هـ ونشرها المستشرق الالمانى (غليوم بوخه) فى بيروت سنة ١٣٢١ هـ •

(٧) حلية الفصيح ص/١٣٠ وما بعدها •

(٨) بغية الوعاة ـ للسيوطى ط١ ص/١٤ والاعلام ط٢ ج٦ ص/٢٢٥

(٩) نكت الهميان ـ نشر (شيخ العروبة) ص/٢٤٤ •

(١٠) المصدر السابق ص/٢٤٥ وما بعدها ٠

(١١) الاعلام ج/٦ ص/٢٢٥

(١٢) رحلة ابن بطوطة ج/٢ص/١٥٠ ط /١٩٥٨ ٠ والدولة الارتقية (التركمانية) تأسست سنة ٤٩٥هـ ـ ١١٠٢ ـ وسقطت ٨١١هـ ـ ١٤٠٨م على يد الدولة العثمانية ٠

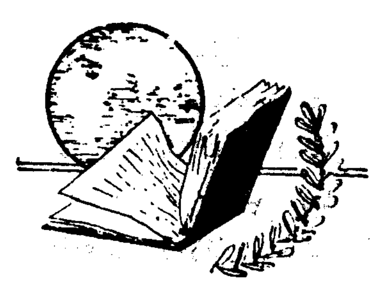
(١٣) راجع / الاحاطة ـ لابن الخطيب ـ نشر وتحقيق الاستاذ محمد عبدالله عنان المجلد الاول/١٩٥٥ ص/٢٤٩ ٠

(١٤) راجع/بغية الوعاة ـ للسيوطى ـ ط١/١٣٢٦ هـ ص/١٧٦ ٠

(١٥) راجع / نفح الطيب ـ للمقرى ط١/١٩٤٩ ج/٣ ص/٤٢٩ وما بعدها

(١٦) المصدر السابق ص/٤٢٩ ٠

(١٧) عن حالة العالم الاسلامى يومذاك ـ يراجع /العالم الاسلامى ـ ج١ + ٢ لعمر رضا كحالة ط٢ /دمشق/١٩٥٨م٠



في رحاب الصحيفة

للأستاذ عبد الأمير الوردي

١ ـ المدخل

سأسير مع القارى الكريم فى السطور التالية فى محاولة ساذجة لدراسة بعض الامور اللغوية التي عرضت وانا اطالع الصحيفة السجادية للامام علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام • ولقد كنت ـ ولا اكتم القارى الكريم سراـ بعيدا عن الصحيفة وعن كتب الدعاء كلها ، لانكاد نلتقى الا حين نوفق الى زيارة العتبات المقدسة او فى شهر رمضان المبارك ، رغم اننى منذ سنين عديدة قد ادركت ان كل الكتب التى عرضت للادب العربى تقريبا لتدرسه وتعرف به لم تتعرض الى أدب الدعاء الا فى القليل النادر ، وحين افضيت الى استاذنا الدكتور حسين علي محفوظ بهذه الملاحظة وجدته قد سبقنى الى ادراكها بفترة طويلة ، فاهتم بالادعية كل الاهتمام ، وجمع من الكتب التي سجلتها كل ما أمكنه جمعه ، وقام بقسط كبير فى التخطيط لدراسة هذا الادب ، وفرغ من وضع فهرست دقيق لكل مواده ومواضعها فى الكتب مخطوطة ومطبوعة • وكادت العلاقة بينى وبين كتب الادعية ـ والصحيفة اولاهاـ ان تنتهي الى ما كانت عليه ، لولا أن دفعتنى الى مطالعتها «حاجة» • فالمطالع يجد ان هذه اللفظة تجمع على (حوائج) و (حاجات) و (حاج) و (حِوَج) ، وهى فى النظر الاول على وزن « فَعْلَه » ولا ضير في جمعها على « فَعْلات » ، اما ان تجمع على « فواعل » فذلك أمر شاذ وشائق ان ينعم فيه النظر •

واذ تحاول انعام النظر تجد الاصمعي ينكر هذا الجمع ويراه مولدا والى ذلك يذهب الحريري محمد بن القاسم فى كتابه « درة الغواص فى أوهام الخواص» ، اذ لم يسمع شاهدا على تصحيحه الا بيتا واحدا لبديع الزمان هو :ـ

فسيان بيت العنكبوت وجوسق رفيع اذا لم تقض فيه الحوائج(١)

واذ تحاول ان تصل فى أمر هذه الكلمة الى كلمة فصل ، فانك تعمد الى كتاب الله فتجد كلمة (حاجة) قد وردت ثلاث مرات (٢) ولكن لم يرد لها فى كتاب الله اى جمع . اما فى الحديث النبوي فقد وردت مجموعة على (حوائج) فى قوله ـص ـ : « استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان» وقوله : «اطلبوا الحوائج عن حسان الوجوه» وقوله «ان لله عبادا خلقهم لحوائج الناس»(٣) ثم تدرسها فى نهج الامام على ـع ـ فتجدها على (حوائج) ثلاث مرات اولاها فى قوله لعمال الخراج « فانصفوا الناس من انفسكم واصبروا لحوائجهم» ـع ـ وثانيتها فى قوله ـع ـ : «لايستقيم قضاء حوائج الناس الا بثلاث ، : باستصغارها لتعظم ، وباستكتامها لتظهر وبتعجيلها لتهنؤ» (٥) وثالثتها فى قوله ـع ـ لجابر بن عبدالله الانصارى : « ياجابر ، من كثرت نعمة الله عليه ، كثرت حوائج الناس اليه» (٦) . بلغت الى هذه الحقائق حين اشار عليّ الدكتور محفوظ متفضلا بمراجعة الصحيفة المباركة واستجلاء ورود هذا الجمع فيها ، فكان سعيي اليها وكانت هذه الجولة في رحابها .

ما اسرع ما اقتنيت نسخة من الصحيفة المباركة ، وما اسرع ما مضيت أتجول في رحابها فبهرتني بما اشتملت عليه من روائع وبدائع تعيي البدائه ، فأنت حين تسير فيها تحار بين الف جاذب وجاذب يستوقف نظرك ويملك فكرك .. انشاؤها المتين، فكَرُها الدقيقة ، خيالها الرحب .. تصوف علي ابن ابي طالب يظهر عند حفيده ، فاذا بك تتذكر الاول اذ تقرأ للثاني ، وانت

تحس ملء نفسك بعاطفة الحب الالهى كان يأخذ عليهما زمام نفسيهما الطاهرتين •• تيار واحد ينطلق من محمد الى اخيه •• الى سبطه الى حفيده •• هذا الفناء التام فى الذات الالهية ، هذا الذوبان المطلق فى تلك العظمة غير المتناهية • انه نسغ الشجرة المباركة •

وتقف بين يدي الامام في الصحيفة التي يقف فيها الامام بين يدي الله فاذا بالامام ثاني اثنين فى العظمة •• واذا بك ثاني اثنين فى التلاشي • وتحس بهذا التسلسل العجيب المذهل الذى لاتكاد تطيق تصوره لانه لايمكنك ان ترقى من صغرى درجاته الى علياها •• انت •• والامام•• والله • وتتملكك رعشة حين تجد نفسك بلغت الى هذا الحد •• فتحاول ان تجمع شتات نفسك متصاغرا ما أمكنك •• متمنيا أن تملك اخفاء نفسك لتمضي الى أبعد مما وصلت فى رحاب الصحيفة •• ولا تكاد تحاول ذلك وتتقدم قليلا حتى تتذكر انك امام من لاتخفى عليه خافية ، فتتملكك الحيرة اول الامر ، ثم ما تلبث أن ترمي عن نفسك كل قناع لتصرخ •• ربي ها انا ذا بين يدي رحمتك ، •• وتغمرك سكينة الطفل بين ذراعي أمه كما غمرت من قبلك آلافا من المؤمنين الذين وفقوا الى النظر فى الصحيفة وحفظ نصوصها وتلاوتها •• وكما غمرت من قبلكم الامام السجاد نفسه •

وتستمر فى سيرتك لتشهد عجبا •• فهو عليه السلام اذ يناجي ربه لا يناجيه لنفسه بل تنتظم مناجاته فئات من الناس مختلفة ، فمن والديه الى اولاده ، الى جيرانه ، فشيعته ، فأمته كلها ، فاولئك المرابطين منها فى الثغور يدفعون العدو عنها ويحفظون حوزة الاسلام ••• نفس تأبى أن تنكمش فى قوقعة ذاتية •• ولكن لا عجب لذلك ، أليس هو امام العصر وولي الامر ؟

وهكذا رحت أتجول في رحاب الصحيفة مبهور الانفاس فاغر الفم

اعجابا •• فهذا النهج المحبوك الذى يملك عليك نفسك بدقته وروعته ليس غريبا عنك ولا أنت حديث عهد به ، فهو من القرآن ، والحديث ، والنهج ، وكلام العرب •• فصحاء العرب ، بحيث لاتكاد تعتقد انك تجد فيه جديدا • وهو غير اولئك ، بحيث تستطيع أن تجد فيه ما تجد فى كل من كلام الله ، وكلام النبي ، وكلام الامام علي ، وكلام فصحاء العرب من تَمَيُّز ، وتعيّن ، وتفرّد واضح جلي •• انها وحدة مثلى لا تستهلك افرادها ، بل تثبت لكل منهم شخصيته ، ثم تنتظمهم فى تيار واحد •

هذا ما بدا لي واضحا فى اساليب جديدة عديدة ، يستطيع المتجول فى رحاب الصحيفة أن يجدها ماثلة امامه ، فيثبتها فى جزازة ، ليخرج منها بمادة بحث مستفيض يستغرق من الصفحات ما لو شاء لجعله مادة لاكثر من كتاب • وذلك راجع الى سعة علم الباحث وامتداد آفاق معرفته ، اذ يتيحان له استشفاف مواضع وأدلة أكثر تشير الى الاصول والتأصلات • ولذلك جاء هذا الموضوع مختصرا موجزا فى مادته ايجازا مخلا ، ذلك انني أهرف بما أعرف ، وما امتلك من نصفي العلم الا اشيعهما ، وشيئا يسيرا من ثانيهما عصفت به آفة العلم ، حتى تكاد اذا جئته لم تجده شيئا •

نعود الآن الى ما كنا فيه من أمر ام الاختراع وهمزة الوصل الى الصحيفة المباركة فنجدها قد وردت مجموعة على (فواعل) فى الصحيفة فى قوله (ع) فى دعاء طلب الحوائج « يامن لا تبدّل حكمتَه الوسائل ويامن لا تنقطع عنه حوائج المحتاجين »(٧) ، وفى قوله فى الدعاء نفسه : « اللهم ولي اليك حاجة قد قَصَّرَ عنها جهدي ، وتقطعت دونها حيلي وسولت لي نفسي رفعها الى من يرفع حوائجه اليك ولا يستغنى فى طلباته عنك »(٨) ، وفى دعائه عند الشدة والجهد فى قوله : « اللهم قد تعلمُ ما يصلحني من أمر دنياي وآخرتي ، فكن بحوائجي حفيـــا(٩) » ، وفى قوله فى دعائه لولده : « اللهم أعطني كل سؤلي ، واقض لي حوائجي ، ولا تمنعني الاجابة

وقد ضمنتها لي »[١٠] • وفي دعائه في يوم عرفة : « واعمر ليلي بايقاظي فيه لعبادتك ، وتفردي بالتهجد لك ، وتجردي بسكوني اليـــك ، وانزال حوائجي بك »[١١] • وفي دعائه في يوم الاضحى ويوم الجمعة : « وانت الناظر في حوائجهم »[١٢] ، وفي دعائه في التضرع والاستكانة : « واسألك كل ما شئت من حوائجي ، وحيثما كنت وضعت عنـدك سري »[١٣] • فهذه النصوص تكوّن قرينة تثبيت لغوي لحديث النبي وحديث الامام علي ، وتزداد قيمتها اذا علمنا انه عليه السلام قـــد توفى سـنة خمس وتسعين للهجرة[١٤] •

أما في أحاديث الائمة من ولده فقد وردت في حـــديث الامام ابى عبدالله جعفر بن محمد الصادق (ع) المتوفى سنة ثمان واربعين ومئة للهجرة في قوله : « لو دعوت بها بعد ما تصلي هذه الصلاة على جميع حوائجـك لقضاها الله تعالى »[١٥] • ووردت في حديث حفيده الامام ابى الحسن علي ابن موسى الرضا المتوفى سنة ثلاث ومئتين للهجرة في كتابه للمأمون ممهراً ابنته في قوله : « واجعلها وسائلك تصل الى بغيتك ، وتنجحْ في طلبتـك ولا تؤثرها لحوائج دنياك فتبخّس بها الحظ من آخرتك »[١٦] ، ووردت في حديث الامام ابى محمد الحسن بن علي العسكري المتوفى سنة ســتين ومئتين للهجرة في تفسيره لفظ الجلالة بقوله : « الله هو الذي يتأله اليـه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق[١٧] •

---

(١) حاشية الشيخ يس بن زين‌الدين العليمي الحمصي على‌تصريح خالد بن عبدالله الازهرى على اوضح المسالك لابن هشام الانصارى على الفية ابن مالك ط١ مطبعة الاستقامة ١٣٧٤ ـ ١٩٥٤ • ٢/٢٤٦ ولسان العرب لابن مكرم الافريقى ط دار صادر ودار بيروت مادة (حوج) ولكثرة تكرار هذه المادة فقد رمزنا اليه ب (ل) في قابل الارقام •

(٢) الآية (٦٨) من سورة يوسف ، والآية (٨٠) من سورة غافر ، والآية ٩ من سورة الحشر • لاحظ المعجم المفهرس لالفاظ القـرآن الكريم لمحمد فؤاد عبدالباقى (سلسلة كتاب الشعب القاهرة ١٣٧٨ هـ) مـــادة (حوج) •

(٣) لاحظ رقم(١) وقد وردت الاحاديث فى اللسان هكذا : استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان لها ٠٠٠ و ٠٠ اطلبوا الحوائج الى حسان الوجوه ٠٠٠ و٠٠ ان لله عبادا خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس اليهم فى حوائجهم ، اولئك الآمنون يوم القيامة ٠

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ط١ القاهرة تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ١٩/١٧ الكتب والرسائل (٥١) من كتاب له عليه السلام الى عماله على الخراج ٠

(٥) المصدر السابق ٢٥٨/١٨ الحكم والمواعظ (٩٧) ٠

(٦) المصدر السابق ٣٠٣/١٩ الحكم (٣٧٨) قوله (ع) لجابر بن عبدالله الانصارى (لاحظ الكاشف عن الفاظ نهج البلاغة فى شروحه للسيد جواد المصطفوي الخراساني ط طهران انتهى من تأليفه سنة ١٣٧٨ هـ) مادة حوج ٠ ووردت كلمة (حوائج) فى موضع من أحاديث الامام لم يرد فى النهج هو حديثه (ع) فى صفة النبي (ص) حيث يقول : « وكان من سيرته فى جزء الامة ايثار أهل الفضل باذنه وقسمه على قدر فضلهم فى الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ٠٠٠ الحديث » ٠ معاني الاخبار لابى جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق ٠ تحقيق علي أكبر الغفاري ط طهران ١٣٧٩ هـ ، ٨١ـ٨٢٠

(٧) الصحيفة السجادية الكاملة ط دمشق ٥١ ٠

(٨) المصدر السابق ٥٢ ٠

(٩) المصدر السابق ١٠٢ ٠

(١٠) المصدر السابق ١١٦ ٠

(١١) المصدر السابق ٢٥٢ ٠

(١٢) المصدر السابق ٢٥٧ ٠

(١٣) المصدر السابق ٢٨١ ٠

(١٤) الصحيفة المقدسة ، المعصومون الاربعة عشر تنظيم عبدالمنعم الكاظمي ط مطبعة المعارف بغداد ١٣٨٠ هـ ٠ وكل وفيات الائمة (ع) قد استفيدت منها ٠

(١٥) البلد الامين للشيخ ابراهيم الكفعمي ط طهران بالفتواوفست ١٣٨٣ هـ ، ١٥٦ ٠

(١٦) المصدر السابق ٥١٦ ٠

(١٧) معاني الاخبار ٤ ٠

تاريخ الحكم البويهي في العراق

٣٣٤ - ٤٤١ هـ

للشيخ محمد حسن آل ياسين

- ١ -

آل بويه اسرة فارسية ديلمية ؛ استطاعت أن تلفت اليها أنظار التاريخ ؛ وأن يكون لها شأن بارز في تاريخ العراق وايران في القرن الرابع الهجري ، واقامت دولة «بما لم يكن في حساب الناس ، ولم يخطر بعضه ببال أحد ، فدوخت الامم ، وأذلت العالم ، واستولت على الخلافة فعزلت الخلفاء وولتهم ، واستوزرت الوزراء وصرفتهم ، وانقادت لاحكامها امور بلاد العجم وامور العراق ، واطاعتهم رجال الدولة بالاتفاق[١] » ، ولكنها — على الرغم من كل ذلك — لم تحظ حتى اليوم بدراسة منهجية تؤرخها بأمانة ونزاهة وصدق ، وتتحدث عنها بصراحة سليمة من الافراط والتفريط .

ان المنطقة التي انطلق منها رجال هذه الاسرة الاوائل ؛ تعـرف بـ «الديلم» . وقد اختلف المؤرخون في اسم الديلم ومصدر اشتقاقه ، فهـل كان قوما سميت بلادهم باسمهم أو ارضا سمي سكانها باسمها ؟

يقول المقدسي : «وانما نسبناه (الاقليم) الى الديلم لان به ديارهم وفيه ملكهم ومنه منبعهم ... ولم نجد لهذا الاقليم اسما يجمع كوره فأضفناه اليهم ولقبناه بهم[٢]» .

ويقول ياقوت : «الديلم جيل سموا بأرضهم — في قول بعض أهـل الاثر — وليس باسم أب لهم[٣] » .

فهو — اذن — اسم قوم قطنوا تلك المناطق فسميت أرضهم باسمهم

ونسبت اليهم ـ على رأي المقدسي ـ ، وهو أرض معينة سكنها لفيف من الناس فسموا باسمها ـ على رواية ياقوت ـ •

والذي يقرأ التاريخ يرى ان هذه التسمية أبعد زمنا وتوغلا في القدم من المقدسى ، واذا كان بدوره قد ابتكر هذا الاسم لانه لم يجد اسماً لهذا الاقليم فسببه التوسع في اطلاق هذا الاسم على هذه الكور المتعددة ؟ ذلك التوسع الذي نشأ عن توسع الديالمة فى ملكهم ورقعة نفوذهم وانتشارهم فى عدة مدن وانحاء من بلاد الفرس مما جعل الجغرافيين يطلقون هذا الاسم على هذه المدن المتعددة والمناطق المتفرقة • أما الديلم الحقيقية الاولى فهي ما عبر عنها المقدسي بـ «ديلمان» وجعلها احدى كور اقليم الديلم • ومن معرفة اسمها يظهر ان اسم هؤلاء القوم مشتق من اسم أرضهم كما قال ياقوت •

وبلاد الديلم ـ في نظر جغرافيي القرن الرابع ـ اقليم كبير يشتمل على خمس كور : اولها من قبل خراسان قومس ، ثم جرجان ، ثم طبرستان، ثم الديلمان ، ثم الخزر • وتقع بحيرتهم في وسط الكور الاربعة الاخيرة ولا تتصل بقومس لانها تقع على رؤوس الجبال بين الري وخراسان وتفصل طبرستان بينها وبين البحيرة(٤) •

أما قومس فهى « كورة رحبة نزهة حسنة الفواكه •• وأكثرها جبال، قليلة المدن ، خفيفة الاهل ، كثيرة الانعام (٥) »•

« واما جرجان فانها كورة سهلية جبلية ، لولا البرد لعملت فيها النخيل •• غزيرة الانهار ، كثيرة البساتين (٦) » •

« واما طبرستان فانها كورة سهلية بحرية ، ولها أيضا جبال ، كثيرة الامطار ، قشفة كربة ، وسخة مبرغثة ••• كثيرة الاسماك والثوم (٧) » •

« واما الديلمان فانها كورة فى الجبال صغيرة المدن •• وقد أضفنا اليها

الجيل لان أكثر الناس لا يكادون يفرقون بينهم[٨] » .

« وأما الخزر فانها كورة واسعة خلف البحيرة ... كثيرة الاغنام والعسل .. بآخرها سد ياجوج وماجوج[٩] » .

ويستعرض المقدسي في كتابه أهم منتوجات هذا الاقليم وصادراته فيقول في خلال ذلك : « هذا اقليم القز والصوف ، به صناع حذاق ، وفواكه تحمل الى الآفاق ، وبزه معروف بمصر والعراق . كثير الأمطار . مستقيم الأسعار . مصر ظريف . لهم عمل لطيف .... بحر عميق به مدن تطيف . به أسماك سرية ، وضياع جليلة ، وفواكه لذيذة ، وأشياء متضادة ... به تين وزيتون واترنج وخرنوب . كثير العناب . حسن الاعناب . رساتيق رحاب ، ومدن طياب . واسم كبير ، وماء غزير ، ودخل كثير ، وبز خطير[١٠] » .

أما أصل الديلم فلعله يرجع « الى أقوام غير ايرانية كانت تسكن في مناطق بحر قزوين في الزمن القديم[١١] » ، ويدلنا على ذلك ما رواه الاصطخري من ان « لسانهم مفرد غير العربية والفارسية ، وفي بعض الجبل – فيما بلغني – طائفة منهم يخالفون بلسانهم لسان الجيل والديلم[١٢] » .

ويذهب احد المستشرقين الى ان « أغلبية الديلم كانوا قد اصبحوا ايرانيين بمعنى الكلمة في العصر الاسلامي[١٣] » . ولم نعثر على دليل واحد يؤيد هذا الرأي ، بل لعل الدليل قائم على عكس ذلك حيث كان الديلم والايرانيون على طرفي نقيض في العقيدة واللغة والتقاليد والنظم الاجتماعية في القرون الاولى من العهد الاسلامي .

ومن ناحية وضعهم الاجتماعي كانوا يخضعون في الحكم لرب البيت (كتخدا) ، ولم تكن «شريعة لهم محصلة ولاطاعة فيهم مستقرة[١٤]» و « لا ترى لهم لباقة ولا علم ولا ديانة[١٥] » ويمتازون بالخشونة والجلد والعجلة وقلة المبالاة[١٦] »،وكانت لهم مقابل ذلك«دولة ورجلة وهيبة[١٧]»،

ونالت النساء مقاما كبيرا لديهم حيث كنّ « يجرين مجرى الرجال فى قوة الحزم واصالة الرأي ، والمشاركة في التدبير[١٨] » •

ويشير بعض المؤرخين ـ ومنهم المقدسي ـ الى بعض العادات الغريبة عندهم ، كما ينبه على بعض ما يمتازون به فى الشكل والسحنة والوجه والشعر ، ولكنني اطوي تفصيله لعدم اتصاله بصميم البحث •

والديانة فى الديلم غير واضحة المعالم لدينا لنحددها على وجه القطع واليقين، بل لم تتضح أيضا للمؤرخين الاقدمين ، فقد صرح قدامة بن جعفر انه « لا شريعة لهم محصلة »[١٩] ، وعبر المسعودي عنهم انهم » جاهلية ومنهم مجوس »[٢٠] وانهم « مذ كانوا لم ينقادوا الى ملة ولا استحبوا شرعا »[٢١] ، وكذلك يعلن المقدسي انه لا ديانة لهم[٢٢] •

وفي أيام الخليفة عمر بن الخطاب تم فتح الري وجرجان وقزوين وطبرستان[٢٣] • وكان الذي غزا الديلم خاصة هو البراء بن عازب فقاتلهم حتى أدوا اليه الاتاوة[٢٤] ويروى ان الوليد بن عقبة بن ابي معيط لما ولي الكوفة من قبل عثمان غزا الديلم مما يلي قزوين[٢٥] ، كما جاء فى روايات أخرى ان سعيد بن العاص لما ولي الكوفة بعد الوليد بن عقبة غزا الديلم فأوقع بهم[٢٦] •

ومهما يكن من أمر فالشيء المستفاد من هذه النصوص ان فتح البلاد قد تم في أيام الخليفة عمر ، وان رسول الخليفة قد تسلم منهم الاتاوة الشرعية ، وانهم فضلوا دفع الجزية على اعلان الاسلام لشدة عنادهم وتصلبهم واصرارهم على ما هم فيه • ثم يظهر من غزوات الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص انهم لم يفوا بدفع الجزية ايضا ، الامر الذى كان يدفع هؤلاء الولاة الى اعادة الكرة تلو الكرة لتعود المياه الى مجاريها ، ولكن سرعان ما يتمنعون ويمتنعون • والى هذا يشير قدامة بن جعفر حيث يقول

عنهم انهم « بعد فتحهم قد نقضوا وكفروا غير مرة » (٢٧) .

وفي أيام الحجاج بن يوسف الثقفي أو قبيل أيامه نقضوا عهدهم مرة أخرى ، وأبوا أن يسلموا وأن يدفعوا الجزية ، فلم يجد الحجاج بداً من أن يطلب وفدا منهم للتفاهم ، فقدم الوفد فدعاهم الى أن يسلموا أو يقروا بالجزية فأبوا ، فأمر أن تصور له الديلم سهلها وجبلها وعقابها وغياضها فصورت له ، فدعا من قبله من الديلم فقال : ان بلادكم قد صورت لي فرأيت فيها مطمعا فأقروا لي بما دعوتكم اليه قبل أن أغزيكم الجنود فاخرب البلاد وأقتل المقاتلة وأسبي الذرية ، فقالوا : أرنا هذه الصورة التي أطمعتك فينا وفي بلادنا ، فدعا بالصورة فنظروا فيها فقالوا : صدقوك عن بلادنا . هذه صورتها غير انهم لم يصوروا فرسانها الذين يمنعون هذه العقاب والجبال ، وستعلم ذلك لو تكلفته . فأغزاهم بالجنود وعليهم محمد ابن الحجاج فلم يصنعوا شيئا » (٢٨) .

وجوابهم هذا للحجاج دليل كبير على الجرأة والاعتماد على النفس في ذلك العصر الذى كانت فيه الفتوحات الاسلامية علىمرأى ومسمع منهم ، وكان الجيش الاسلامي ينساب دفاقا في الآفاق فيكتسح كل ما يقف امامه من عقبات وحدود وسدود .

ومن جملة الشواهد على تكرر تمردهم وازدهائهم بقوتهم ان الجيش الاسلامي قد شعر في غزواته الاولى للديلم ان هؤلاء امة لا تلين قناتهم بسهولة ولا يقرون بالنظم الجديدة بيسر ، فقرر القادة في ذلك الحين ضرورة انشاء معسكر دائم آمن الى جنب بلادهم ليسهل غزوهم كلما امتنعوا واخضاعهم كلما ثاروا ، وفي هذا الشأن يقول المسعودي : « ثم جاء الاسلام وفتح الله على المسلمين البلاد فجعلت قزوين للديلم ثغراً هي وغيرها مما أطاف ببلاد الديلم والجبل ، وقصدها المتطوعة والغزاة فرابطوا وغزوا

ونفروا منها » (٢٩) ، ويؤيده ياقوت فيقول : « ان سعيد بن العاص لما غزا الديلم قدم قزوين فمصرها وجعلها مغزى أهل الكوفة الى الديلم »(٣٠) .

وهكذا نرى هؤلاء القوم فى عصيان مستمر وخلف بالعهود وخروج على النظام وعدم التزام بالمحالفات ، على الرغم من تلك الغزوات التي أقامتهم وأقعدتهم عدة مرات ، وعلى الرغم من المعسكر الدائم الذى أسس قريبا منهم .

واستمر هؤلاء على هذا الاسلوب من التمرد حتى دخلت سنة احدى ومائتين ، فاستطاع عبد الله بن خرداذبة والي طبرستان أن يفتتح اللارز والشيزر من بلاد الديلم ، وافتتح جبال طبرستان فانزل شهريار بن شروين عنها وأشخص مازيار بن قارن الى المأمون وأسر ابالیلى ملك الديلم(٣١) .

والظاهر أن هذه الغزوة كانت هي الاخيرة فى بابها لأن جيش المسلمين استطاع ـ هذه المرة ـ اخضاع الديلم للحكم الاسلامي ، فلم يسمع عنهم ـ بعد هذا اليوم ـ اعلان الحرب على الخليفة كما كان ديدنهم اولا . ولكن كل ذلك لا علاقة له بالدين ، لأن الدين خضوع روحي لا ارتباط له بالسيف والفتح ولا ينفع معه العدد والعدد ، ولم يشر التاريخ الى اسلامهم فى هذه المعركة أو بعدها ، بل كل ما فى الامر أنهم دفعوا الجزية وتعهدوا بمثلها فى كل عام . ثم عاد الجيش الى قواعده سالما .

◉

فمتى استجاب هؤلاء للدعوة الاسلامية ؟

يقول بعض المؤرخين : ان ذلك كان فى أيام الحسن الاطروش الذى ظهر ببلاد الديلم وطبرستان سنة احدى وثلاثمائة ، « وقد كان أقام فى الديلم سنين وهم كفار على دين المجوسية ومنهم جاهلية ، وكذلك الجيل ، فدعاهم الى الله عزوجل فاستجابوا واسلموا ... وبنى فى الديلم مساجد »(٣٢) ، « وكان بمدينة سالوس حصن منيع قديم ، فهدمه الاطروش

حين أسلم الديلم والجبل[٣٣] » .

وانسياقا مع هذه الروايات يكون دخول الديلم في الدين الاسلامي في أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع وانهم لم يكونوا قد عرفوا التدين بهذا الدين قبل ذلك الحين .

ولكننا حينما ندرس نهضات العلويين فى بلاد الديلم وما يجاورها من القرى والامصار ، كنهضة يحيى بن عبدالله الملقب بصاحب الديلم (١٧٦هـ) ، ومحمد بن القاسم العلوي (٢١٩ هـ) ، والحسن بن زيد (٢٥٠ هـ) ، ومحمد بن زيد (٢٧٠هـ) ، وأضرابهم من العلويين . اننا حين ندرس نهضات هؤلاء السادة ونطلع على مدى نفوذهم الكبير فى الديلم ومدى انقياد الديلم لهم ـ كما يأتي تفصيله ـ لا نستطيع القول بدخول الاسلام الى الديلم فى أواخر القرن الثالث . واني لأعتقد اعتقادا جازما ان هؤلاء العلويين الذين سبقوا الاطروش بعشرات السنين كانوا قد سعوا فى هذه السبيل سعيا كبيرا ، وان سعيهم قد أثر الأثر المحمود المبارك ، ولكنه ربما يكون تأثيرا غير شامل فسعى الاطروش فى شموله وتعميمه ، كما سعى فى هدم سائر آثار المجوسية والزرادشتية .

ولعلنا نستفيد الاشارة الى ذلك مما رواه المسعودي عن الحسن بن زيد العلوى واخيه محمد من كونهما يدعوان الى الرضا من آل محمد[٣٤] . وبديهي ان الدعوة الى الرضا من آل محمد لا تصح ولا تليق ما لم تسبقها دعوة الى الاسلام والاقرار بالشهادتين ، وهل الامامة الا فرع اعتناق الاسلام والايمان به ؟ .

وسواء ادخل الاسلام الى الديلم في أواخر القرن الثاني أو الثالث فان دخوله الى هناك كان على يد الدعاة العلويين ، وكان سلطان هؤلاء وتأثيرهم في تلك المناطق قويا جدا والى حد بعيد ، على خلاف ما كان عليه

القادة الفاتحون الكثر الذين غزوا تلك البـــلاد ثم رجعـوا من دون أن يستطيعوا التغلغل فى تلك الاطراف •

ولعل لما كان عليه هؤلاء العلويون من تواضع محبب وخلق فاضـل ودعوة تعتمد على الحكمة والموعظة الحسنة اثراً مهما فى تقبل الديلم للدين وحسن استقبالهم لدعاته • وهذا هو الواقع فى كل زمان ومكان ، فالدين لا يملى بالقوة ولا يفرض بالاكراه •

---

(١) الفخري : ٢٤٤ •
(٢) أحسن التقاسيم : ٣٥٣ •
(٣) معجم البلدان : ١٨٦/٤ •
(٤ ، ٥) أحسن التقاسيم : ٣٥٣ •
(٦ ، ٧) نفس المصدر : ٣٥٤ •
(٨ و ٩) أحسن التقاسيم : ٣٥٥ •
(١٠) أحسن التقاسيم : ٣٥٣ •
(١١) دراسات فى العصور العباسية المتأخرة للدوري : ٢٣٨ •
(١٢) مسالك الممالك : ٢٠٥ •
(١٣) دراسات الدوري : ٢٣٨ •
(١٤) الخراج لقدامة بن جعفر : ٢٦١ •
(١٥) أحسن التقاسيم : ٣٥٥ •
(١٦) مسالك الممالك : ٢٠٣ •
(١٧) أحسن التقاسيم : ٣٥٥ •
(١٨) ذيل تجارب الامم : ٣١٣ •
(١٩) الخراج : ٢٦١ •
(٢٠) مروج الذهب : ٢٩٤/٤ •
(٢١) نفس المصدر : ٢٩٦/٤ •
(٢٢) أحسن التقاسيم : ٣٥٥ •
(٢٣) تاريخ أبى الفداء : ١٦٤/١ والكامل : ١١/٣ •
(٢٤) البلدان للهمداني : ٢٨٢ والكامل : ١١/٣ •
(٢٥) نفس المصدر : ٢٨٢ والكامل : ١١/٣ •

(٢٦) الكامل : ٣/ ٥٤ ومعجم البلدان : ٧/ ٨٠ .

(٢٧) الخراج : ٢٦١ .

(٢٨) البلدان للهمذاني : ٢٨٣ .

(٢٩) مروج الذهب : ٤/٢٩٦ .

(٣٠) معجم البلدان : ٧/ ٨٠ .

(٣١) الطبري : ٧/١٤١ والكامل : ٥/ ١٨٤ .

وبالنظر الى ما لهؤلاء الديلم من شهرة بالصبر والثبات فقد اعتبر هذا الفتح من أسمى الفتوح الاسلامية التي شهدها المسلمون حتى اصبح مضرب الأمثال ، يقول سلم الخاسر :

انا لنأمل فتح الروم والصين ... بمن أذل لنا من ملك شروين

الطبري : ٧/١٤١

(٣٢) مروج الذهب : ٤/٢٣٦ .

(٣٣) الكامل : ٦/١٤٦ .

(٣٤) مروج الذهب : ٤/٩٨ .



قرائك

صدر الدين الشيرازي

للبروفسور الفرنسي هنري كوربان

ولد صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي - الذى يعرف غالبا بلقبه المختص به « ملا صدرا » أو « صدر المتألهين » - فى شيراز . اما تاريخ ولادته فلم يكن متحددا حتى فترة متأخرة ، حين ظهرت فى حاشية نسخة كانت منقولة عن النسخة الاصلية الاولى عبارة كان كتبها ملا صدرا تعليقا على موضوع وارد في المتن وفيها يقول : « أفيض عليّ هذا الموضوع ساعة طلوع الشمس من يوم الجمعة السابع من جمادى الاولى من سنة ١٠٣٧ هجرية ، وكان لي من العمر ثمان وخمسون سنة »[1] . وبعملية حسابية بسيطة يتضح ان ملا صدرا ولد حوالى سنة ٩٧٩ أو ٩٨٠ هـ (١٥٧٢ - ١٥٧٣ م) ، وان تاريخ ولادته هذا وتاريخ رحلته عن هذا العالم هما التاريخان الوحيدان اللذان يمكن التيقن منهما فى سيرة حياته .

ان ما في حياة ملا صدرا من جمال وجلال ليس فيالظروف والاوضاع الخارجية ، بل ان العوامل الخارجية لم يكن لها فى حياته الا دور مقلق نتاجه الاضطراب وعدم الاستقرار ، ولم تيسر له حياة رافهة مجللة . ان ترجمة شخص مثل ملا صدرا تلتمس فى الواقع فى منحنيات حياته الباطنية، فى تطورات تفكيره وتأليف مصنفاته ، فى تعاليمه وفى رابطته بتلاميذه الذين خلفوا بدورهم آثارا كانت تسمح لاستاذهم أن يفتخر بها .

فى حياة صدر الدين ثلاث مراحل واضحة يمكن تمييز كل منها من سواها • كان ابوه وهو من المرموقين على حال من اليسار تمكنه من أن يوفر لابنه كل ما تتطلبه تربيته وتعليمه ، كما ان الابن بما كان له من نبــوغ واستعداد فكرى وصفات خلقية وهب نفسه كذلك لهذه التعاليم • ولم تكن اصفهان فى هذه الفترة عاصمة الصوفيين السياسية فحسب ، بل كانت تعد كذلك مركز الحياة العلمية فى ايران ، فقد كانت مدارسها ـ التى لايـزال بعضها مستمرا حتى اليوم ـ فى اوج فعاليتها ، وكان اكبـر العلماء قــد اجتمعوا فيها وقد شملت تعاليمهم مختلف شعب العلوم والمعارف ، لذا كان طبيعيا أن يترك صدر الدين موطنه الاصلي شيراز وأن يؤم اصفهان ليكمل فيها مرحلة تحصيله • وهنا يجب ان لا نقيس المرحلة الدراسـية فى ذلك الزمان ببرامج الجامعات الحديثة حيث يمكن بعد بضع سنوات الحصول على الليسانس والدكتوراه ، لأن مرحلة درس ما ، كانت تستغرق قسما كبيرا من عمر الانسان ، بل لعلها كانت تقتضي أن يصرف المرء على بعض العلوم التي يؤمل أن يتعمق فيها عمره كله • ان مرتبة الاجتهاد كانت تحتاج الى عشرين سنة على الاقل •

كان لصدر الدين فى اصفهان ثلاثة معلمين احتلت اسماؤهم مـكانا وشهرة في تاريخ ايران الفكري والمعنوي • ففي المرحلة الاولى درس ملا صدرا على الشيخ بهاء الدين العاملي (الذى يدعى عـــادة الشيخ البهائي ووفاته ١٠٣٠)[٢] العلوم الاسلامية النقلية كالتفسير والحديث عند الشيعة والفقه وسواها حتى أجازه فيها • وكان الشيخ البهائي يظهر طوال حياته صداقة ومودة بالغتين نحــو ميرداماد (توفي ١٠٤٠) الذى كان تلاميذه يدعونه المعلم الثالث ـ بعد ارسطو المعلم الاول والفارابى المعلم الثانى[٣] ـ والذى كان يرى ـ كالسهروردى ـ ان الفلسفة التي لا تؤدي الى كشف معنوي وتحليل عرفاني انما هي عبث وجهد مضيع • ميرداماد هذا هو الذى

كان موجه ملا صدرا فيفترة تحصيله واستاذه في الفلسفة النظرية .

ثم ان صدر الدين - مع أن الشواهد على هذا الأمر ليست دقيقة تماما - كان تلميذا لشخصية عجيبة غير عادية هي شخصية « مير ابو القاسم فندرسكي » . ففي هذا الوقت من الزمن كان التنقل بين ايران والهند متواصلا ساعد عليه وسهل منه اصلاحات « اكبر » الدينية ، وكان الفلاسفة الايرانيون ، وبخاصة منهم اتباع مدرسة السهروردى الاشراقية ، كثيرين في بلاط أكبر ، ولقد كان لمير ابو القاسم فندرسكي دور فعال في حركة ترجمة المتون السانسكريتية الى الفارسية التي كانت لها أهمية كبرى من الناحية الثقافية ، وبواسطة هذه الترجمات بدأ المذهب الهندوكي يتكلم بلغة المتصوفة الفرس . ومع ذكر اسم هذا الاستاذ من اساتذة ملا صدرا ، يمكننا ان نتخذ فكرة عن المعارف التي اكتسبها في المرحلة الاولى منعمره ، مرحلة التلمذة من حياته .

وتبدأ الآن المرحلة الثانية . هنا يجب ألا يُظن أن الظروف كانت ملائمة ، وخاصة لمن يتبع افكاره وانفعالاته الداخلية الخاصة بصورة مستمرة لا تعرف المساومة ، بل ويعلم انه كلما ازداد تقدما ازداد يقينا بأنه سيواجه خصومة المقلدين واتباع الظواهر . لقد عانى ملا صدرا مثل هذه التجربة القاسية ، كما يتضح من بضع جمل من كتابه الرئيسي حيث يقول(٤) : « في العهد الماضي ، صرفت قواي منذ مطلع شبابي للفلسفة الالهية ، فاطلعت في حدود ما امكنني علىمؤلفاتالحكماء السابقين وبعدهم الفضلاء اللاحقين، ووقفت على نتائج الهاماتهم ونظرياتهم وأفدت من ابداعهم واسرارهم ، ولخصت ما وقعت عليه من كتب اليونان واعلام المعلمين ، مختارا اللباب من كل باب من ابوابها ، ومتحاشيا الاطالة والاطناب (ص ٤) ... الا ان عوائق كانت تمنع من الوصول الى هذا الغرض ، وكانت الايام تمضي واحدا بعد آخر دون أن أبلغ هدفي ... (ص ٤) .

ولما شاهدت عداوة الدهر في اخـــلاق الجهلة والاراذل ، ورأيت شمول الجهالة والضلالة وسوء الاحوال والاوضاع وقبح الناس ، وبليت بقوم امكانية الفهم فيهم معدومة وعيونهم تلقـــاء انوار الحكمـة واسرارها عمياء ... (ص ٤) قادني انكسار الخاطر وجمود الطبيعة امام عـــداوة الزمان ومناوأة الايام الى أن اختار الانزواء في بعض نواحي الديـار وان اختفي كسير القلب في دنيا النكران وخمول الذكر... (ص ٦) واخترت كما أمر سيدي ومولاي ومعتمدي، أول الائمة والاوصياء وأبو الائمة الشهداء الاولياء ، قسيم الجنة والنار ، طريق التقية .. » (ص ٧) .

ان الوضع الذى كان لملا صدرا في ذلك العهد ، لم يكن ــ كما لعله كان يظن ــ وقفا عليه وحده ، بل ان فلسفته ايضا كانت بدورها تواجـه وضعا معقدا مؤسفا كان يواجهه كل جيل ، والسبب في ذلك ان غايته في الحياة التي سنتحدث عن نتائجها فيما بعد انما كانت تعليم التشيع بمعنى جامع ، لذا لم يكن له سبيل للتخلص من كيد الجهلة سوى أن يفارق حياة اصفهان الجياشة ليلجأ الى مكان منزو بعيد ، وكان هذا المكان الذى اختاره لخلوته قرية « كُهَك » على بعد ثلاثين كيلو مترا الى الجنوب الشرقي من مدينة قم » .

الا ان هـذه الرحبات التي تقوم في جنباتها نقاط وعلائم عرفانيـة ، والتي تقوم منها قبة حرم « قم » المشعة مقام القطب والمركـز ، ما عتم ملا صدرا أن اضطر مرة اخرى الى مفارقتها ، وهنا بدأت المرحلة الثالثة مـن حياته . وخلال تلك السنوات التسع ، او الاحدى عشرة ، التي قضاها ملا صدرا في كهك ، توصل الى كشف الحقائق المعنوية ، وبلغ مقام المشاهدة الذى ليست الفلسفة الا مقدمة ضرورية له ، وليست في نظره ونظر جميع اتباع مدرسته الا عملا عقيما ومحاولة واهية عابثـة إذا هي لم تنتـه الى هذا المقام .

ان انسانا في مقام ملا صدرا وشخصيته ، لا يستطيع مهما حاول أن ينجح في اخفاء سر خلوته واعتزاله ، ولذا لم يستطع ملا صدرا ايضا أن يمنع التلامذة والمريدين من أن يطبقوا عليه ويقبلوا على مجالسه ، وان يحد شهرته من أن تتسع وتنتشر • ولقد حلت تلك اللحظة حين صمم والي مقاطعة « فارس » الله وردي خان على بناء مدرسة كبيرة في شيراز ، واستدعى ملا صدرا بموافقة الشاه عباس الثاني طالبا منه العودة الى بلده الاول والتدريس في المدرسة الجديدة •

ان الغرفة التى كان ملا صدرا يعلم فيها لا تزال تمكن مشاهدتها في تلك المدرسة المعروفة اليوم باسم «مدرسة خان» وليس عجبا أن تصبح شيراز بسرعة ، بسبب انتقال صدر الدين اليها ، مركزا علميا كبيرا كأصفهان • كان «الاستاذ» يعيش فى تلك المدينة ، مستغرقا فى التعليم واعداد الطلبة وتوجيههم وفي تأليف كتب بقي بعضها ناقصا للاسف ، وان التعاليم الاخلاقية الرفيعة التى كان يعلمها طلابه والتى ظل هو يعيشها ويطبقها ، لخير وسيلة لتعريف شخصيته ؟ وهذه التعاليم تتلخص جميعا فى أربع قواعد سنها لكل من يريد ان يخطو في طرق المعنويات ، هي : التخلي عن حب اكتساب الثروة ، ترك طلب الجاه الدنيوي ، البعد عن التقليد الاعمى ، واجتناب كل نوع من أنواع المعاصي (٥) •

ومع ما أنجز ملا صدرا من أعمال عظيمة ، استطاع الحج سبع مرات الى بيت الله ، وفي عودته من حجته السابعة عام ١٠٥٠هـ • وافته منيته في البصرة وفيها دفن •

مبنى آثار ملا صدرا

ان المؤلفات التي تجعل هذا المفكر العميق المثالي بحق ، حاضرا بيننا مستمرا في حياتنا ، جد عظيمة ؟ وقد بلغ مجموعها تقريبا حتى القرن الاخير

أربعين مجلدا بطبع حجرى • بعض هذه الكتب يشتمل عـلى مئة صفحة ، وبعضها الآخر يضم مئات الاوراق ، ان جميع موضوعات الفلسفة الاسلامية قد بحث في هذه الكتابات ، وان بعض كتبه هي نتيجة بحوثـه الشـخصية الخالصة ، كما ان بعضا آخر منها تفاسير وشـروح ، الا انه يوسـع دائرة الشرح والتفسير في هذه الكتب ويضمنها من الآراء والتفاصيل المبتكرة ما يقتضي أن نعدها أيضا في زمرة آثاره الخاصة •

لقد شرح ملا صدرا رائعة ابن سينا «كتاب الشفاء» (٦) ، وشرح اهم أثار السهروردي « حكمة الاشراق » ؛ وفي شرحه لكتاب « اصول الكافي » ـ أحد كتب الشيعة الاساسية والذى يضم تعاليم أئمة الشيعة (ع) ـ شـرع ملا صدرا فى وضع مجموعة واقعية لفلسفة شيعية ، الا ان الزمن لم يمهلـه للاسف حتى يتمها (٧) ؛ كذلك كتب تفسيرا لعديد مـن سور القـرآن الكريم(٨) ، تحرى فيه المعنى الباطني والمعنوى او العرفاني للآيات ؛ وهذا التفسير يمثل مع التفاسير الاخرى التى كتبها اسلافه وأخلافه ، منبعا أساسيا للتفكير الفلسفي الاسلامي في التفسير المعنوى للقرآن • وسنرى بعد قليل لم يجب أن يكون الوضع هكذا ، وبخاصة في التشيع •

أما المجموعة التي ضمنها ملا صدرا ثمرة جهوده وتحقيقاته وتأملاته جميعا فكتاب شهير سماه « كتاب الاسفار الاربعة العقلية » ، وهو اثر نفيس ضخم يضم في طبعته الحجرية القديمة اكثر من الف ورقة مطبوعة الوجهين، وهذا السفر هو الذى ولد على الاكثر اعجاب المريدين والمفسرين وانفعالهم وحبهم • ان شروح هذا الكتاب تؤلف مجموعة مجللة عظيمة تبدأ بشروح اثنين من أشهر تلامذته المباشرين كانا في الوقت نفسه صهرين له ايضا ، هما ملا محسن فيض وعبدالرزاق اللاهيجي ، وتستمر جيلا بعـد جيل حتى العصرالحاضر (مجتازة فيالقرنالماضيملا عبدالله وملا عليالزنوزي، وحاجي ملا هادى السبزوارى وسواهم) •

وباختصار ، يجب القول ان التحقيق العميق في وضع الشيعة الفلسفي دون معرفة لآثار ملا صدرا وأفكاره ، امر متعذر ، لان لهـذا الوضع من اوله الى آخره ارتباطا بتفكير ملا صدرا • ترى ، ايـة ارادة عميقة كـانت تحرك ملا صدرا طوال مدة حياته ؟ اننا نستطيع ان نجد علائمها في مقدمة كتابه الكبير ، تلك المجموعة التى تسمح لنا بان نقول ان ملا صدرا هو لايران قديس توماها الاكويني لو كان القديس توما يستطيع في الوقت نفسـه ان يكون عارفا وحكيما مثل ياكوب بوهمه ، الا ان مثل هذا التركيب لا يمكن ان يتحقق الا في ايران وحدها •

ان عبارة (الشيعي الجامع) تعلن للفيلسوف الباعث على صراع معنوي في جبهتين ، الصراع الذى هو لاول وهلة مع نفسه ، ثم بالتالى صراعه مـع القوى المظلمة لعالم خارجي عدو مناوىء • ولقد تحمل ملا صدرا الوجـه الاول لهذا الصراع المعنوى في سنوات وحدته في قرية كهك ، وفي هـذا الصراع كان الموضوع الرئيسي للغاية من حياة ملا صدرا الخاصة والتطور الذي سينتهي به اليه قدره ، واجتيازه التأمل النظرى الفلسـفي الى اليقين التجريبي الـذي يتذوقـه العرفـاء ، ففلسفـة حقيقيـة واقعيـة لا يمكن ان تقوم ما لم يقم اتحاد بين هذين وما لم ينته التأمل النظرى الى يقين العارف • ان كل القصد من المعنوية الاشراقية لم يكن منذ عهد السهروردي الا هـذا فقط ، اما عند ملا صدرا ـ كما هو الحال عند اسلافه وعند اتباعه من بعده ـ فان هذا الاتحاد انما يحدث بالفطرة فى المعنوية الشيعية ؛ ومن الافضل ان ندرس هذا الموضوع بدقة اكثر •

ان كلمة (الاشراق) التى كان لهـا في الفلسـفة الايرانيـة تاريخ عجيب ، استعملت في القرن الهجرى السادس على يد السهروردى لبيـان حكمة الايرانيين القدامى التى كان يريد أن يحييها • ان الكلمة تعني جلال طلوع الشمس ، كما تعني في الوقت نفسه النور الذى يضيء الاسـحار ،

النور الذى تتلقاه الموجودات في تلك الدقائق من بياض الفجر • كـذلك تعني هذه الكلمة منطلق هذا النور ومبدأه ، اي الشرق مكانا وزمانا • والآن يجب نقل هذه التصورات كلها الى عالم مـا وراء المحسوسـات وان نفسر المشرق بعالم النور والموجودات النورانية وضيـاء الفجر الذى يشـرق من سلسلة العقول على نفوس الافراد المبعدين في مغرب عالم الظلام • ان هـذه الحكمة التى تنبع من مشرق الروح ، والتى سـميت شـرقية وفقا لهـذه (الجغرافيا العرفانية) ليست فلسفة وليست علم الهيات (تيولوجي) بالمفهوم الذي تستعمل فيه هاتان الكلمتان اليوم في الغرب حيث يرون فيهما طاقتين مختلفتين متمايزتين ، وحيث يتناولون بالبحث ما بينهمـا من رابطـة ليمكن اتخاذ رأي ما لمصلحة احدهما •

ان هذه الحكمة المشرقية او الاشراقية انما هي حكمـة الهية ترادف بدقة الكلمة اليونانية تيوسوفيا (Theo Sophia) هذه الحكمة تقود اتباعهـا من علم الفلسفة الانتزاعي ، الذي هو العلم بواسـطة الصـور او المفاهيم ، والذى هو العلم الصورى ، الى المشاهدة المباشرة والاشراف الحضورى الذى يطلع من مشرق الروح • هذا العلم الذي ليس بعد صورا ، بل علـم حضوري ، هو علم مشرقي ، لانه اشراقي ، وعلم اشراقي لانه مشـرقي • هذا هو المعنى العرفاني لكلمتي مشرق ومشرقي حين يدور الحديث عـلى حكمة الاشراق ، وهذه الحكمة هي التى عني زرادشـت وحكمـاء ايران القدامى ــ كما يقول السهروردي ــ بتعليمها •

ان كلمة « الاشراقيين » تقابل في اصطلاح اليوم « المشائين » وترادف « الافلاطونيين » او « الافلاطونيين الحديثين » ، وتاريخ افلاطونيي ايـران الاسلامية الحديثين هؤلاء طويل • ان هؤلاء الحكماء مرتبطون بتلك الاسرة التي يرتبط بها الافلاطونيون الحديثون في كل مكان وفي كل زمان •العلم الاشراقي أى العلم بتلك اللحظة التى يطلع فيها نور المشرق على الروح ، أو

مبدأ الروح ، قبل ورودها على هذه النشأة الترابية ، هو التجربة التى حظي بها ملا صدرا في وحدته المهيبة في كهك •

يقول فى مقدمة كتابه الكبير (الاسفار ص٨) : « حين بقيت مـــدة طويلة على هذا الحال من الاستتار والانزواء والخمول والاعتزال ، اشتعلت نفسي اثر المجاهدة الطويلة بالنور ، وفاض على قلبي نتيجة الرياضات الكثيرة التهاب قوى وأنوار ملكوتية ، وانحلت عقدة أسرار الجبروت ، وتبعتهـا الانوار الاحدية • لقد أحاطت بي الالطاف الالهيـــة ، ووقفت عــلى أسرار ما كنت قد أدركتها بعد ، وانكشفت لى رموز لم يستطع أى برهان حتى الآن أن يكشفها لي ، بل ان ما كنت قد تعلمته عن طريق البرهان ، شاهدته الآن ورأيته عيانا مع زوائد واضافات » (يجب ان يلاحظ ان الطريقة التى اتخذت لبيان هذه التجزئة المعنوية ، تنطبق تماما على طريقة السهروردي ومير داماد ؛ وان هذا التعيين اليقيني لا يستند الى استدلال منطقي ، بل انمنشأه الحضور المباشر الذي يتذوق بصورة شخصية خاصة ، وفي بعض الموارد بالمشاهدة)•

ويتابع ملا صدرا (ص ٨) : « لقد انبسط عقلي باعتبار جوارحــــه الظاهرية وغدا ماء سيالا يفيض ، أما باعتبار باطن تعقلاته فقد انقبض لطلاب الحقيقة وصار بحرا مواجا • فصنفت عندئذ كتابا الهيا للسالكين العاملين على تحصيل الكمال ، وجلوت الحكمة الربانية لطالبي أسرار حضرة ذي الجلال والاكرام » •

ان هذا الكتاب هو مجموعة آثار ملا صدرا ، وقد سماه « الاســـفار العقلية الاربعة » • ماذا كان قصده من هذا العنوان ؟ لقد أوضح هو نفسه هذا الامر في ختام مقدمة الكتاب • ان هذا العنوان مستمد من المصطلحـات العرفانية الاسلامية المتداولة • فالسفر الاول يبدأ من عالم الخلق وينتهي الى الحق (من الخلق الى الحق) ؛ وفي هذا السفر يبحث تركيب الموجودات ،

والطبيعيات والمادة والصورة والجوهر والعرض ، ويرتقي السالك الى مرتبة عالم الحقائق الالهية غير المحسوسة • وبناء على هذا فان السفر الثاني هو من الحق (في الحق بالحق) • وفي هذا السفر لا يبعد السالك عن مرحلة ما بعد الطبيعة ، بل يتعرف الى علم الالهيات والمسائل المتعلقة بالذات والاسماء والصفات الالهية • أما السفر الثالث فهو رحلة فكرية ولكن فى عكس السفر الاول ، أي انه عودة من (الحق الى الخلق بالحق) • ان هذا السفر يتتبع مراتب صدور الموجودات عن أنور الانوار ، ويعرف السالك الى العلم بمراتب العقول والعوالم الغيبية التي تحتل ما فوق عالم المحسوسات ، ويبحث في علم التكوين والملائكة • وأخيرا فالسفر يتم بواسطة الله في العالم المخلوق نفسه (بالحق في الخلق) ، ويدور حول معرفة النفس أو الضمير الداخلى (العلم المشرقي) وحول التوحيد بمعناه الباطني ، أي وحدة الوجود بمعنى (من عرف نفسه فقد عرف ربه) ، وكذلك حول مسألة المعاد ، اى جميع العوالم اللامتناهية التي تنكشف للانسان بانفتاح باب الموت أمامه(٩) •

انه لمن المستحيل أن يستطيع الانسان في بضع كلمات أن يعرض أكثر من فكرة تصورية عامة عن هذه المجموعة التي أقام فيها ملا صدرا بناء مجللا للفكر • اننا اذا أردنا أن نحكم عليه بعين المؤرخ ، فيجب بصورة عامة أن نقول دون شك اننا مع ملا صدرا أمام واحد من أتباع مدرسة ابن سينا • لقد كان يعرف آثار الشيخ الرئيس عن قرب ، وقد شرحها ، الا أن ملا صدرا هو في الوقت نفسه فيلسوف سينائي مع التفسير الاشراقي متأثر بافكار السهروردى ، تأثرا لاينعدم فيه فقط كل مابين ابن سينا والسهروردى من فاصلة وبعد ، بل ان ملا صدرا نفسه تعبير مشخص عن الالهيات الاشراقية • كذلك تأثر هذا الفيلسوف السينائي الاشراقي تأثرا عميقا بمعتقدات حكيم الاندلس الكبير ، والعارف الذى هو من اكبر عرفاء التاريخ كله ، محيى الدين ابن عربي (المتوفى ٦٣٨) • وانه لمن الواجب فى هذا الموضوع ان

يجري تحقيق حول ما يمكن تسميته « التشيع السري » لابن عربي [١٠] ، لان فى حل هذه المسألة اخيرا امكان الوصول الى مفتاح جميع الموضوعات .

ان ملا صدرا هو أكثر من أي شيىء مفكر شيعي متأثر تمام التأثر بتعاليم أئمة الشيعة (ع) ، ومؤمن بالاسلام بصورته التى تنطلق من هـذا الاساس . لذا ، فانه لمن العبث ـ مهما يكن الامر مستساغا ـ أن نهتم بذكر «منابعه» اذا كان قصدنا أن نحل جميع المسائل عن هذا الطريق . اننا نستطيع أن نسجل على ورقة كل الاقوال المرددة والاشارات والصور وكل ما نسميه «المنابع» ، الا ان حاصل هذه الاوراق جميعا لن يكون قط ملا صدرا لو لم يكن هناك قبل كل شيىء «ملا صدراً» ينظم هذه «المنابع» فى بناء ليس سواه من يستطيع ان يقيمه ويعليه . ان محور هذا البناء هو عقائد ائمة الشيعة (ع) كما هو الحال فى «اصول الكافى» للكليني ، ومن هنا ان ملا صدرا ينتقل الى صراعه المعنوي الآخر ، الصراع ضد اللاادريين المتقدسين والقشريين . ان نوايا ملا صدرا ومقاصده الصريحة عون على فهم الوضع الفلسفى للتشيع ، وكذلك على ادراك أهمية آثار ملا صدرا في الفكر الشيعي في الايام السالفة وفي العهد الحاضر [★] .

---

(١) اكتشف هذه الحاشية السيد محمد حسين الطباطبائى اثنـاء تصحيح متون الاشعار . وقد ذكرت هذه الحاشية ضمن مذكرة اخـرى كتبها ملا صدرا على كتابه ، فى النسخة التى نقلت سنة ١١٩٧ عن النسخة الاصلية المفقودة اليوم . راجع مقدمة الدكتور السيد حسين نصر لرسـالة الاصول الثلاثة ، ص ٢ ، الحاشية ٢ .

(٢) راجع عن الشيخ البهائى المراجع الواردة فى مقـدمة الدكتور السيد حسين نصر ، ص ٣ الحاشية ٣ .

(٣) راجع مقالة السيد كوربان فى Mélanges, Louis Massgon, Voll, 1, Domas Confessions exactiques de Mir Dâmâd maitre de théologie â Ispahan.

(٤) نقلا عن طبعة اسفار العلامة الطباطبائى . ارقـام الصفحات فى المتن .

(٥) راجع كسر أصنام الجاهلية ، ص ١٣٣.

(٦) طبع شرحه فى المجلد الثانى من الطبعة الحجرية لكتاب الشفاء ، طهران ١٣٠٣ .

(٧) اتيحت لملا صدرا الفرصة لأن يشـرح كتاب العقـل وكتاب التوحيد فقط وبداية كتاب الحجة (الذى يضم تعاليم الائمة بشأن مسألتى النبوة والامامة) ، ومع انه لم يستطع ان يشرح أكثر من نحو العشر فقط من هذا الكتاب الاساسى فى الفكر الشيعي ، فان الطبعـة الحجرية التى نشرت فى طهران من هذا الكتاب ، تضم أكثر من ٤٥٠ ورقة مليئة الوجهين.

(٨) طبعت مجموعة هذه التفاسير ضمن الطبعـة الحجرية لتفسيره فى شيراز سنة ١٣٢٢ .

(٩) الاسفار طبعة العلامة الطباطبائي ، المجلد الاول ص ١٣ فمـا بعد ، مع تحقيق حاجي ملا هادي السبزوارى الوارد فى حواشى الصفحات ١٣ حتى ١٨ .

(١٠) ان الموضوع الذى هو صعب الحل تعريف شخص خاتم الولاية الذى يرى الشيعة انه يستطيع أن يكون اماماً فقط ، بينما يعده ابن عربي المسيح (ع) . وقد بحث هذا الامر بصورة مفصلة السيد حيدر الاملي ـ أحد أهم اتباع ابن عربى وشارحيه من الشيعة ـ فى كتـاب « جامع الاسرار » وفى شرحه للنصوص ، حيث عدم الترابط فى نظرية ابن عربى حول هذا الموضوع ، الا ان هذه المسألة تحتاج الى تحقيقات اخرى .

(★) مقتبس باختصار من مجلة « الدراسات الادبية » البيروتية العدد ١ـ٢ (١٩٦٦م).

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

أنباء أدبية

- **الجزء الثالث من كتاب (ابن الفوطي) الذي ألّفه العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي سيدفع الى الطبع قريبا ٠**

  ومن الجدير بالذكر ان الجزأين الاول والثاني كانا قد صدرا قبل وفاة العلامة الشبيبي ٠

- الدكتور ابراهيم السامرائي رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب أصدر مؤخرا مؤلفه الجديد المعنون (الفعل زمانه وأبنيته) ٠

  ويتضمن الكتاب الذي يقع في حوالي ٢٥٠ صفحة بحوثا قيمة في مادة الفعل في اللغة العربية ٠

  ولا شك ان الكتاب المذكور قد سد فراغا كبيرا في المكتبة العربية التي تفتقر الى أمثال هذه البحوث القيمة ٠

- **الدكتور حسين محفوظ يعكف حاليا على تأليف كتابين جديدين هما : (علي بن أبي طالب المسلم الكامل) و (الشيخ الطوسي) ٠**

  وقد شارف الكتاب الثاني على الانتهاء بينما يؤمل الانتهاء من الاول قبل نهاية هذا العام ٠

- بتقديم الدكتور محمد هادي أبو ريدة الاستاذ بجامعة عين شمس صدر مؤخرا كتاب (ثورة زيد بن علي) لمؤلفه الاستاذ ناجي حسن ، وهو بحث كان قد تقدم به الاستاذ ناجي لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي من جامعة بغداد ٠

- **صدر عن دار الثقافة ببيروت « ديوان ديك الجن » تحقيق واستدراك الدكتور أحمد مطلوب وعبدالله الجبوري ٠**

- تم في بيروت مؤخرا طبع الجزأين الثالث والرابع من موسوعة العتبات المقدسة وذلك باشراف الاستاذ جعفر الخليلي مدير مؤسسة دار التعارف التي اضطلعت بمهمة طبع الموسوعة المذكورة ٠

- **صدر عن مجلة الايمان عدد خاص بالفقيد الشيخ محمد علي اليعقوبي معتمد الرابطة العلمية في النجف الاشرف ، وقد تضمن هذا العدد الذي يقع في حوالي ٤٠٠ صفحة أكثر ما قيل من الشعر والنثر والمقالات والبحوث في ذكرى الفقيد اليعقوبي ٠**

- (الحركة الادبية في كربلاء) الكتاب الذي قدم له السيد محمد جمال الهاشمي والمحامي توفيق الفكيكي بدأ مؤلفه السيد صادق آل طعمة بطبعه ٠

◉ **الشاعر أحمد الصافي النجفي قدم لاحدى دور النشر في بيروت ديوانه الجديد الذي يضم معظم ما جادت به قريحته في السنوات الاخيرة ٠**

◉ يصدر قريبا ديوان (نبضات قلب) للشاعر محمدحسين آل ياسين ، عضو الجمعية الاسلامية للخدمات الثقافية وهو يتضمن مجموعة من القصائد الوجدانية الرقيقة ٠

◉ **ديوان ليلى الاخيلية جمع وتحقيق خليل ابراهيم العطية وجليل العطية قدم الى وزارة الثقافة والارشاد لتعضيد نشره ٠**

◉ من تأليف الدكتور أبو العلا العفيفي صدر كتاب (الثورة الروحية في الاسلام) ، وقد عرض مؤلفه فيه لمظاهر التصوف ومظاهر الحياة الصوفية واتجاهاتها الروحية عند المسلمين ٠

◉ **يصدر قريبا كتاب (العرب في الكتاب والسنة والتاريخ) من تأليف الحاج جاسم الكلكاوي ٠**

◉ أصدر الخطيب السيد جواد شبر كتابا عن الامام علي (ع) باسم (قبس من حياة أمير المؤمنين عليه السلام) ، ولا ريب ان القراء بحاجة الى أمثال هذه الدراسات ٠

◉ **من المؤمل أن تقوم لجنة نشر المؤلفات التيمورية باعادة طبع دراسة كاملة عن النبي محمد (ص) لمؤلفه العلامة المرحوم أحمد تيمور ٠**

صدرت اخيرا الطبعة الثالثة من كتاب «التفسير اللغوى» للاجزاء الاربعة الاخيرة من القرآن الكريم لطلبة المدارس الابتدائية تأليف الحاج عبدالرسول النعمة ٠

◉ صدر عن مطابع النجف الأشرف قسمان من كتاب « شعراء القطيف » قديما وحديثا تأليف الشيخ علي منصور المرهون ، والمؤلف قطيفي الاصل ويقيم حاليا في النجف الاشرف للدراسة ٠

◉ **تسلمت البلاغ بوساطة وزارة الثقافة والارشاد العراقية نسخة من كتاب (مهرجان الشعر السادس) من منشورات المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في القاهرة ٠**

ومما يذكر ان المهرجان كان قد اقيم ببغداد في المدة من ١٥ ــ ١٩ شباط١٩٦٥م ، وقد شارك فيه شعراء من العراق وسائرالبلادالعربية ٠

والشيء المؤسف أن ترد احدى قصائد المهرجان في الكتاب وقد حذف عدد من أبياتها من دون اشارة الى ذلك أو تبرير ، وهذا مخالف لصفة الأمانة الأدبية في ضبط المحاضر ونشر النصوص ٠

المحتــوى

كلمة التحرير . . . . التحرير ٥

مزية الفقه الجعفري . . . للسيد محمد صادق الصدر ٧

الاصول العبرانية والسريانية في الآداب العربية . . . . .

. . . . للدكتور حسين علي محفوظ ١٧

بعلبك ـ قصيدة ـ . . . للشاعر صالح الجعفري ٢٣

مراجع عراقية جديدة للمستدرك على تاريخ الأدب العربي لبروكلمان

. . . . للاستاذ كوركيس عواد ٢٥

لاتقل مات الوفاء ـ قصيدة ـ .. للشاعر محمد على الحسيني ٣٨

تطور الفكر الجغرافي عند المسلمين . للاستاذ خليل اسماعيل محمد ٣٩

اجتهاد الرسول (ص) . . . للاستاذ توفيق الفكيكي ٥٠

تقاسيم ـ قصيدة ـ . . . للشاعر عبدالهادي الوراق ٥٦

من المخطوطات الاندلسية في الخزائن العراقية . . . . .

. . . . للدكتور محسن جمال الدين ٥٨

في رحاب الصحيفة . . للاستاذ عبدالأمير الوردي ٦٥

تاريخ الحكم البويهي في العراق . للشيخ محمد حسن آل ياسين ٧١

صدرالدين الشيرازي . . . للمستشرق هنري كوربان ٨٠

مع القراء ٩٢

١ ـ ملاحظة على مقالة في النحو العربي

للاستاذ عبدالحسين الفرطوسي

٢ ـ خيبت آمالي للشاعر عبدالمنعم الشوكي

٣ ـ نشيد الأمل للشاعر محمد رضا آل صادق

شؤون الجمعية ٩٧

انباء أدبية ٩٨